الفصل الثانى

العوامل التى ساعد على تطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى

- تقديم.
- أولاً: اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء.
- ثانيًا: الصراع السنى السنى.
- ثالثًا: الصراع السنى الشيعى.
- رابعًا: الرحلات العلمية.

تقديم:

عاصرت الدولة السلجوقية كثيرًا من مظاهر النهضة العلمية الإسلامية فى القرن الخامس الهجرى، الذى شهد هو وسابقة القرن الرابع الهجرى أروع وأزهى فترات تاريخ الحضارة الإسلامية، حيث جرى سلاطين السلاجقة ووزراؤهم على ما انتهجه خلفاء وأمراء وملوك الدول الإسلامية من التنافس فى مناصرة العلم، وتشجيع العلماء، وإغداق الأموال عليهم، وإنشاء المدارس والمساجد والبيمارستانات والخوانق للتعليم فى شتى فنون المعرفة، فكانت مدن نيسابور، وهراه، ومرو، وبلخ فى خراسان قد حفلت بالعلماء والمدرسين فى الآداب، والعلوم المختلفة، وأصبح إقليم خراسان مقصدًا للعلماء والطلاب ومنارة علمية يؤمها العلماء والفقهاء.

وقد تضافرت عدة عوامل على إنعاش الحركة الفكرية والعلمية فى إقليم خراسان، منها أن سلاطين السلاجقة أظهروا ميلاً ملحوظًا لتشجيع العلم والعلماء على الرغم من أنهم لم يكونوا متحضرين، وغير مثقفين[1]، ولذلك تركوا تشجيع العلماء والأدباء وتغذية الحركة الفكرية لوزرائهم[2]، ممن يجيدون اللغتين الفارسية والعربية كعميد الملك الكندرى[3]، ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م وزير طغرلبك (٤١٩ - ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٣م) والوزير نظام الملك أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوسى (٤٥٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) وزير السلطان ألب أرسلان ٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) والسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان

---

(١) أبو شجاع: محمد بن الحسين ظهير الدين الروذراورى ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، ذيل تجارب الأمم، نشر أمدوزر، مطبعة التمدن، القاهرة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م، ص٣.

(٢) نظام الملك: أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوسى ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، سياسة نامة، ترجمة وتعليق د. السيد محمد العزاوى، الناشر دار الرائد العربى، توزيع دار ركابى، ص٥.

(٣) الكندرى: نسبة إلى كندر بالضم ثم السكون ثم الضم وراء، قرية من نواحى نيسابور من أعمال طريثيث. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٧، ص١٥٤.

(٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) كان له أثر كبير فى تطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى[١].

كما كان السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٥٢هـ / ١٠٩٦ - ١١٥٧م) يحترم علماء الدين والفقهاء احترامًا كبيرًا ويتقرب إليهم ويميل إلى الزهاد رغم عدم إلمامه بالقراء والكتابة، وقد ترتب على تشجيع السلطان سنجر للعلماء والكتاب والفقهاء أن أصبح عصره مشهورًا بكثرة عدد شعرائه وعلمائه كما ازداد فيه عدد الأدباء الفرس من كتاب النثر والشعر[٢].

ومن العوامل التى ساعدت على تطور الحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى وجود المذاهب الدينية المختلفة، هذه المذاهب الذى اتخذت من العلم وسيلة لترويج تعاليمها، ومحاولة الإقناع بصحة هذه التعاليم، وكان الصراع الذى ثار بين هذه المذاهب من وسائل ترويج سوق الثقافة فى ذلك العصر، وأوضح دليل على صحة ذلك الآثار العلمية الوفيرة التى خلفها علماء المذاهب الدينية المختلفة، برغم ما أحدثته هذه المذاهب من انقسام بين المسلمين، وإضعاف لقوتهم، وللخلافة العباسية[٣].

---

(١) العينى: بدر الدين محمود، ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، عقد الجان فى تاريخ أهل الزمان، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤، ميكروفيلم رقم ٦٣٥٨، ورقة ٤٥، محمد محمد يونس: الأثر العربى فى شعر بلاد ما وراء النهر فى القرن السادس الهجرى، مقال منشور ضمن سلسلة أبحاث المؤتمر الدولى لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز، جامعة الأزهر ١٩٩٣م، ص٤٣.

(٢) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم السلطان سنجر السلجوقى (سياسته الداخلية وأهم مظاهر الحضارة فى عصره)، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٤، ٢٥، يحيى حمزة عبد القادر الوزنه: الدولة السلجوقية فى عهد السلطان سنجر (٤٩٠ - ٥٥٢هـ / ١٠٩٦ - ١١٥٧م)، ط١ الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص٢١٤.

(٣) عبد النعيم حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ط١، نشر دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصرى القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص١٨١، ١٨٢، رشاد بن عباس معتوق: الحياة العلمية فى العراق خلال العصر البويهى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص٩١، ٩٢.

ولذا فقد كان اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء إلى جانب الصراعات المذهبية وما خلفته من آثار علمية إلى جانب الرحلات العلمية، من أهم العوامل التى ساعدت على تطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

أولاً: اهتمام السلاطين الوزراء بالعلم والعلماء

كان سلاطين السلاجقة الأوائل بدوًا وغير مثقفين، ولذلك فقد اضطروا إلى الاستعانة برجال أكفاء لخدمة الدولة فى مختلف الشئون الإدارية والسياسية من وزراء وحجاب وكتاب ممن كان لهم خبرات سابقة فى هذه المجالات لدى الدويلات الإسلامية الأخرى فى المشرق، كالغزنويين وغيرهم، ولهذا فقد استعان السلاجقة بأعداد من كتاب الفرس وغيرهم لإدارة شئون البلاد، وقد استطاع هؤلاء أن يلعبوا دورًا هامًا فى إدارة شئون البلاد السياسية والإدارية والعلمية(١).

ولقد كان سلاطين السلاجقة ووزرائهم يشجعون العلماء والأدباء والنابهيين فى كل علم وفن، على مواصلة الإنتاج والإبداع، بما يقدمونه لهم من المكافآت والجوائز السخية حتى يشيدوا بذكر هم فى مقدمات كتبهم، وفى ألوان إنتاجهم المختلفة، مما جعل الإنتاج العلمى والفنى غزير فى العصر السلجوقى، وتشهد بهذه الغزارة والكثرة الآثار الباقية عن هذا العصر من كل علم وفن(٢).

وبذلك نشطت الحركة الفكرية، وراجعت سوق العلم، وزخر بلاط السلاجقة بالعلماء والأدباء، كما زخرت مدن وقرى إقليم خراسان بالعلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من حملة مشاعل العلم، وبفضل تشجيع سلاطين السلاجقة ووزرائهم للعلماء، ومحبتهم للعلم وتكريمهم لرجاله، قام العلماء فى مختلف بلاد الأرض وخاصة فى العراق وخراسان، وصنفوا كتب التفسير والفقه الحديث،

---

(١) مريزن سعيد مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، ط١، ١٩٨٧م، ص١٧١.

(٢) عبد النعيم حسنين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٨٥، توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، بدون، ص١٠٨.

وقد أصبح كل واحد من العلماء بفضل هذا التشجيع محطًا لأنظار العالمين، وقد استقامت مملكة سلاطين أل سلجوق ببركة فتواهم وتقواهم، وحرصهم على أن تسير الرعية على الشريعة[١].

ففى عهد السلطان طغرلبك (٤٢٩ - ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٣م) انتشر بناء المساجد فكان يقول: استحى من الله أن أبنى دارًا ولا أبنى بجانبها مسجدًا[٢]، كما كان وزيره عميد الملك الكندرى[٣] (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) يحترم الفقهاء[٤]، ويجلهم فى حياتهم ومماتهم[٥]، وإن كان يبالغ فى اهتمامه بأئمة المذهبى الحنفى - مذهبه - وكان شديد ا لتعصب على الشافعية[٦]، كما كان متصوفًا[٧]، كما أظهر اهتمامًا بالغًا بالنواحى الأدبية، وكانت له أياد بيضاء فى الكتاب والفصاحة، وكانت له مؤلفات عديدة، باللغتين العربية والفارسية، كما كان من الأدباء الكبار، حتى أن معظم المؤرخين يرجع إزدهار دولة طغرلبك إلى كفاءة هذا الرجل وشهرته العلمية والأدبية[٨]، ويدل على مكانة هذا الوزير العلمية والأدبية أن

(١) الراوندى: محمد بن على بن سليمان بن محمد ت ٥٩٩هـ / ١٠١٩م، راحة الصدور وآية السرور، تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى، عبد النعيم محمد حسنين، فؤاد عبد المعطى الصياد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٥م، ص٧٢، ٧٣.

(٢) البندارى: الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م، تاريخ دولة آل سلجوق، ط٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٢٨.

(٣) الكندرى: نسبة إلى كندر بالضم ثم السكون ثم الضم وراء، قرية من نواحى نيسابور من أعمال طريثبت. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٧، ص١٥٤.

(٤) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق لأحمد كمال الدين حلمى، الكويت، ١٩٨٤م، ص٦٦.

(٥) البندارى: آل سلجوق، ص٢٥.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٣٨.

(٧) خواندمير: غياث الدين، ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥ من دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق د/ حربى توفيق سليمان، تقديم د/ فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م، ص٢٤٤.

(٨) عبد الهادى محبوبة: نظام الملك كبير الوزراء فى الدولة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٩م، ص٢١٦.

السمـــرقندى[1] حين تحـدث عن ماهيـة وصفـة الكاتب الكامل، أوصى من يريد بلوغ درجة الكمـال فى هذه المهنة أن يضطلع على كتب السـلف ممن كان لهم باع فى هذا المجال، وكان ممن عددهم من هؤلاء عميد الملك الكندرى.

وكان له فضل وشعر[2]، ومن شعره

المـوت مر ولكـن إذا طمـئت نفسى إلى العز مستحيل لمشـربه

رياسة باض فى رأسى وساوسها تدور فيه وأخشـى أن تـدور به[3]

وقد حظى الأدباء فى عهـده باهتمامه ورعايته، وإغداقـه الأموال عليهم[4]، فأصبح عميد الملك وزير طغرلبك ممدوحًـا من قبل الشعراء، منهم الباخزرى الذى قال فيه:

أمين طغـــرلبك الميمـــون طائره فى المعـضلات إذا ما خـانه الأمنا

كالشمس إن طالوه فى السمونأى وإن أرادوا اقتـباس النور منه دنا

لا يقرع السـن من مال يصاب به ولا يعـــض على إبهـــامة غبنا

عالى المحل ولكن ما مشـى مرحًا غض الشباب ولكن ما طغى ددنا

---

(١) النظامى العـروضى ت ٥٥٠هـ / ١٣٦٨م، جـهاز مـقالة (المـقالات الأربع) فى الكتـابة والشعـر والنجوم والطب، نقلة إلى العربية د/ عـبد الوهاب عزام، د/ يحيـى الخشاب، وعليه خلاصة حـواشى العلامة محمد عبد الوهاب القـزوينى، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمـة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، المقالـة الأولى، ص٢٣٢، ولقد كان معظم وزراء السلاجقة على قدرة فائقة على الكتابة، بما يملكون من حسن الحظ والبلاغة الأسلوب. عبد الهادى مـحبوبة: من رسائل نظام الملك، مقالة بمجـلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م، ص١٦٠.

(٢) ابن الجوزى: أبى الفرج عبـد الرحمن بن على ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م، المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك، ١٠ أجزاء، ط١، دار صادر بيروت، ١٣٥٩هـ، ص٢٣٩.

(٣) الباخرزى: أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب ت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، دمية القصر وعصـرة أهل العصـر، تحقـيق د/ سامى مكى العـينى، جزءان، ط١، نـشر مكتـبة دار العروبة، الكويت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج٢، ص١٤٣.

(٤) الحسينى: صدر الدين على بن ناصـر، ت بعد ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م، أخبار الأمراء والملوك السلجـوقيـة المعـروف بزبدة التواريخ، تحـقيـق د/ محـمد نور الدين، ط٢، دار إقـرأ، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص٦٨.

أتيــح إقـباله إذا قلت: (أقبل من) واها لإقــباله الــوافى بما ضمنا[1]

وفى عــهـد السلـطان ألب أرسـلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) والسلطان مـلكشـاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م)[2]، نشطت الحـر كـة الفكرية فى العــالم الإسلامى عامـة، وإقليم خراسـان خاصة بفـضل الوزير (نظام الملك أبو على حـسن بن على بن إسحـاق الطوسى) (٤٥٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) الذى لم يتفق لغيره، مـا اتفق له من ازدحام العلماء عليه، وترددهم إلى بابه وثنائهم على عدله[3]، وليس غريبـا على هذا الوزير اهتمامـه بالعلم والعلماء فـهو من أولاد الدهاقـين[4]، وقـد اشتـغل بالحـديث والفقـه[5]، على المذهب الشافعى، وحفظ القرآن [6]، وكانت مجـالسه معمورة بالعلمـاء، مأهولة بالأئمة والزهاد[7]، والقراء والفقهاء[8]، والصوفية، كثير الإنعام عليهم[9].

(١) الباخزرى: دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج٢، ص٢٩٨.
(٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص٦٩.
(٣) السـبكى: تاج الدين أبى نصـر عـبـد الوهاب بن على بن عـبـد الكافى، ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م، طبقات الشافـعية الكبرى، تحقيق محمـود محمد الطناحى وعبد الفتـاح محمد الحلو، ١٠ أجـزاء، دار إحيـاء الكتب العـربية، القـاهرة، بدون، ج٤، ص٣١٣، نظام الملك: (أبو على الحسن بن على إسحاق الطوسى) ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م، سياسة نامة، ترجمة وتعليق د/ السيد مـحمد نامة، ترجمة وتعليق د/ السيد مـحمد العزاوى، الناشر دار الرائد العربى، توزيع دار ركابى، بدون، ترجمة المؤلف، ص٥.
(٤) الدهاقين: جمع دهقان كلمة فارسية معناها رئيس الإقليم، العينى: بدر الدين العينى، ت ٨٢٤هـ / ١٤٢١م، السيف الم هند فى سيـرة الملك المؤيد، حققه فهيم مـحمد شلتوت، راجعه محمد مصطفى زيادة، قدم له فه يم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، بدون، حاشية٢، ص١٠٩.
(٥) ابن الأثيـر: الكامل فى التاريـخ، ج٨، ص٤٨٠، ابن خلكان: وفيـات الأعيـان، ج٢، ص١٢٨.
(٦) ابن كـثير: البـداية والنهـاية، ج١٢، ص١٥١، خواندمـير: دستـور الوزراء، ص٢٤٥، مـحمـد مـسفـر الزهرانى: نظام الـوزارة فى الدولة العبـاسـيـة فى العهـدين البـويهى والسلجوقى، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٦م، ص١٤٢.
(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣١٣، محبوبة: نظام الملك، ص٢٥١.
(٨) الذهبى: شمس الدين محمد بن أحمـد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م، تهذيب سير أعلام النبـلاء، أشرف على تحقـيقه شـعيب الأرناؤوط، هذبه أحـمد فايز حـمصى، ٣ أجزاء، ط٢، مـؤسسة الرسـالة، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٤٩، الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص٤١٧.
(٩) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج٤، ص٣٧٤، محبوبة: نظام الملك، ص٢٥٤، ٢٥٥.

وقد جعل فى داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون تقيد بسن أو مذهب[١]، ورغب الطلبة فى العلم، وأغدق عليهم الأموال[٢]، فنشأ للناس أولاد نجباء[٣]، كما ظهر فى عهده أكابر العلماء، وظهر لهم من المصنفات فى كافة فروع العلوم الأعداد الضخمة، وأصبح لهؤلاء العلماء مدارس يقصدها التلاميذ وتكتظ بالمدرسين يكتب فيها ما يملون، ويدرس ما يكتبون، ولم يلبث أن يشع الكتاب وينشر فى مختلف الأوساط المتعلمة وتحتفظ الخزانات ودور الكتب بنسخ منها للإعارة والنقل والتعليق، وكل ذلك بفضل نظام الملك[٤].

لقد كان اهتمام نظام الملك بالعلم والعلماء حافزًا لسلاطين السلاجقة لمعرفة معنى العلم، فقدوا العلماء، وحظوا لديهم بالتشجيع والاهتمام[٥].

فقد كان السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) يذهب إلى خراسان لملاقاة العلماء من أصحاب المذاهب المختلفة، كما كان يحضر ويستمع إلى المناظرات والمناقشات التى تتم بين هؤلاء العلماء[٦]، كما كان يذهب إلى العلماء ليتقرب إليهم ويستبشرهم وينبرك بهم، فلقد ذهب إلى نيسابور والتقى

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٤، ص٣١٣، نظام عقيلى: (سيف الدين حاجى)، آثار الوزراء، تصحيح وتعليق مير جلال الدين حسينى أرموى، طهران، ١٩٥٨م، ص٢٠٧.

(٢) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٤٩، ابن رجب الحنبلى: زين الدين أبى الفرج بن شهاب الدين أحمد البغدادى ثم الدمشقى، ت ٧٩٥هـ / ١٣٩٢م، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، جزءان، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج١، ص٥٤.

(٣) البندارى: آل سلجوق، ص٥٩، محمد سعد السيد: الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب الزقازيق، ٢٠٠٣م، ص٥٤.

(٤) محبوبة: نظام الملك، ص١٥٩، ١٦٠، دعاء عبد الرحمن محمد، الوزارة فى عهد السلاجقة ٤٢٩ - ٥٩٠هـ / ١٠٣٧ - ١١٥٢م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ٢٠٠٣م، ص١٤٣.

(٥) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص١٧٢.

(٦) ابن رجب الحنبلى: ذيل طبقات الحنابلة، ج١، ص٥٤، ٥٥.

بالعالم الجليل حسان بن سعيد المنيعى ت (٤٦٣هـ / ١٠٦٩م)[١]، وكان يحترمه، فسأله أن يبنى جامع بنيسابور، فأجابه السلطان بالموافقة[٢].

ومن علماء خراسان الذين برعوا فى عهد السلطان ألب أرسلان، عبدالله بن محمد بن على محمد بن جعفر أبو إسماعيل الأنصارى الهروى، ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م، وكان كثير السهر بالليل وحدث وصنف وكان شديدًا على أهل البدع قويًا فى نصرة السنة[٣]، ويقال أنه اشتغل فى حداثة سنه بالدرس والتحصيل فدرس العلوم الدينية والأدبية وحفظ أشعار العرب، وأجاد اللغتين الفارسية والعربية، وألف بهمان وقال الشعر العربى، ومزج فى أشعاره بين الشعر الصوفى وغيره من فنون الشعر[٤].

وفى عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م زاد الاهتمام بالعلم والعلماء، فقد شجع السلطان ملكشاه الدراسات الفلكية، فأقام مرصدًا فى مدينة نيسابور عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م[٥]، كما جمع،

---

(١) هو الشيخ الجليل، الحاج الرئيس أبو على حسان بن سعد بن حسان بن محمد بن أحمد المخزومى، الخالدى، المنيعى، المرورذى، شيخ الإسلام المحمود بالخصال السنية، عم الآفاق بخيره وبره، وكان فى شبابه تاجرًا، ثم عظم حتى كان من المخاطبين من مجالس السلاطين، لم يستغنو عن رأيه، فرغب إلى الخيرات، وأناب إلى التقوى، وبنى المساجد والرباطات كما بنى جامع مرو، ت ٤٦٣هـ / ١٠٦٩م، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٨٢.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣٠٠.

(٣) ابن الجوزى المنتظم، ج٩، ص٤٤، ٤٥.

(٤) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر الفارسى، طبعة القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٨٦، محمد عبد العظيم أبو النصر، نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة عصر السلاطين العظام (٤٢٩ - ٤٨٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٩٢م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٩٩٥م، ص٤٧٠.

(٥) النظامى العروض: جهاز مقالة، حواشى المقالة الثالثة، ص١٥٧، عبد النعيم حسانين: إيران فى العصر السلجوقى، ص١٨٥.

الفلكيين والمنجمين، وجعلوا "النوروز"[١] أول نقطة من الحمل، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت، وصار ما فعله مبدأ التقاويم[٢].

ومن مظاهر اهتمام السلطان ملكشاه بالعلم والعلماء أنه أمر سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م عدداً من كبار العلماء، بتأليف كتاب يقترحوا خير الوسائل لإصلاح نظام الحكم مسترشدين فى ذلك بما حفظ التاريخ من أخبار الملوك السالفين العظام، فكتبوا ذلك، ورفعت كتبهم إلى السلطان فأعجبه ما كتب وزيره نظام الملك، فأعلن أنه سوف يتخذ ما كتبه إماما يسير على هداه فى الإصلاح[٣].

كان السلطان ألب أرسلان ومن بعده ملكشاه بن ألب أرسلان مدعومان بوزير قوى هو الوزير نظام الملك الطوسى (٤٥٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) الذى نشطت بفضله الحركة الفكرية فى إقليم خراسان، فقد ارشى منشأت للخير والبر فى خراسان[٤]، فبنى المدارس التى انتشرت فى أنحاء المدن الإسلامية[٥] تلك المدارس والتى حملت اسم "المدارس النظامية"[٦]، وأشهرها نظامية بغداد التى أصبحت النواة التى أنشئت عليها المدارس فى المدن الإسلامية ومنها نظامية

(١) النوروز: كلمة فارسية مركبة من لفظين أولها "نو" بفتح النون وضمها أى "الجديد" وثانيها "روز" أى "اليوم الجديد"، أما فى الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية التى يقع فى اليوم الأول من شهر فرور دين الموافق ٢١ مارس "آذار" أى أول فصل الربيع. وقد استعملت كلمة "نوروز" فى اللغة العربية بصيغتها الفارسية، كما عربت "نيروز" وقد وردت الكلمة بهاتين الصيغتين فى النصوص العربية، وأن كانت كلمة "النيروز" أكثر استعمالاً. فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، طبعة دار ألأحد، البحيرى أخوان، بيروت، ١٩٧٢م، ص١٣: ١٤.

(٢) السيوطى: جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء، عنى بتحقيقه إبراهيم صالح، ط ١، دار البشائر، دمشق، سورية، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ص٤٩٩.

(٣) نظام الملك: سياسة نامة، ص١٠.

(٤) خواندمير: دستور الوزراء، ٢٥٢.

(٥) ابن الجوزى: شذور العقود، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، ميكروفيلم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٥٢، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص٣١٣.

(٦) الحسينى: زبدة التواريخ، ص١٤٢، خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٥٢.

Bernard lewis: The Arabs in history, New York 19670 . p 149.

نيسابور[١] ونظامية مرو[٢]، ونظامية هراة[٣]، ونظامية بلخ[٤]، ونظامية طوس[٥]، هذه المدارس التى بفضلها ازدهرت الحركة الفكرية فى إقليم خراسان[٦]، وجعل فى هذه المدارس دور للكتب[٧]، وكان نظام الملك يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختياره، وأنه يجب أن يكون عالمًا عارفًا سنى المذهب شافعيًا أصلاً وفروعًا له معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الحظ، جيد الضبط، كتب الكثير من كتب الأدب[٨]، وكان الإقبال على تلك المدارس من الطلاب والعلماء على السواء[٩].

وعلى الرغم من اهتمام الوزير نظام الملك بالعلوم الدينية، إلا أنه لم يغفل النواحى الأدبية، بل أن نظام الملك نفسه ساهم فى هذه النهضة الأدبية، مما جعله فى مصاف الأدباء والمؤرخين والمشرعين الكبار[١٠]، ولعل أهم إسهاماته فى هذا المجال "سياسة نامة" والذى يتضمن معلومات تاريخية هامة فى النواحى الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية[١١].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥١، محبوبة: نظام الملك، ص٣٧٩: ٣٨٢.

(٢) السبكى: المصدر السابق، ج٣، ص٣١٣، عبد النعيم حسانين، إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٨٣.

(٣) خواندمير: المصدر السابق، ص٢٥٢، محبوبة: نظام الملك، ص٣٨٨، ٣٨٩.

(٤) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ناجى معروف: علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامى، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣، ص ٧٠.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٩٠، عقيلى: آثار الوزراء، ص ١٠٧.

(٦) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٥، عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.

(٧) محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط٦، ١٩٩٤م، ص١٥٣.

(٨) محمد ماهر حمادة: نفس المرجع، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٩) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية،بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ٥٦٧.

(١٠) نظام الملك: سياسة نامة، مقدمة المترجم، ص ٥.

(١١) نظام الملك: نفسه، ص١٧.

وكان نظام الملك يـميل إلى الشعـر، ويقرب إليه الشـعراء، ويغـدق عليهم الأموال[١]، وتزخر "دمية القصر" للباخرزى، بمدح الوزير[٢].

ومن شعراء خراسان الذين شملهم نظام الملك برعايته الشاعر أبو نصر أحمد إبراهيم الطالقانى[٣]، وله فى مدح نظام الملك.

وخوطب فى الوزارة من تناهى إليه المجـــد واجتـــمع الفخـار
نظـــام الملك مـلك أبى شجـاع وزيـــر يشـــق لـه غـــــبار
يعضد الـدولة الملـك المفـــدى على ماضى الملوك به افتخـار[٤]

ولقد كان نظام الملك نفسه شاعراً ومن شعره

بعد الثمانين ليس لى قوة لهـفى على قوة الصـــبوة
كأننى والعـــصا يكـــفى موسـى ولكن بلا نبوة[٥]

ومن شعره أيضا

مـــحـــاذرتك عـــدو صـــديقك جـــائزة
ولك فى صـحبـة أصدقـاء صـديقك خيـر
ولا تـأمن مـن النـاس لطـائفـــــتـــــين
أصـــدقـاء عـــدوك وأعـداء صـــديقك[٦]

كذلك كان علم الفلك والتنجيم من العلوم التى اهتم بها الوزير نظام الملك، فقد جمع جماعة من العلماء المتخصصين فى علم الفلك، لتنظيم التقويم الفارسى

---

(١) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥٥.
(٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.
(٣) الباخرزى: دمية القصر، ج٢، ص ١٥٥.
(٤) الباخرزى: نفس المصدر ونفس الصفحة.
(٥) الأصفهـانى: عماد الدين الأصفـهانى، ت (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، خريدة القـصر وجريدة العـصر، تقـديم وتحـقيق د. عـدنان مـحمـد آل طعمـة، ٣ أجـزاء، ط١، نشر مـرآة التراث، طهران، إيران، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص٤٠.
(٦)نظام الملك: سياسة نامة، ص ٢٠٧.

وإصلاحه، وأثمر عملهم التقويم المعروف باسم "التقويم الجلالى" نسبة إلى السلطان جلال الدين ملكشاه[١]، ومن هؤلاء العلماء علماء خراسان عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى ت ٥١٧هـ / ١١٢٥م[٢]، وأبو المظفر الأسفزارى ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م[٣].

ومن منجمى خراسان الذين شملهم نظام الملك برعايته، الحكم الموصلى وهو من طبقة المنجمين فى نيسابور، وكان فى حاشية الوزير، وكان الوزير يستشيره فى مهمات الأمور ويسأله الرأى والتدبير[٤].

وفى عهد السلطان بركيارق (٤٨٦ - ٤٩٨هـ / ١٠٩٣ - ١١٠٤م) كان وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك ت ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م يمتاز بالكفاءة ورجاحة العقل والفصاحة والبلاغة، يجيد النثر والنظم باللسانين الفارسى والعربى، ويبدى فى ذلك بلاغة وطلاقة[٥]، ومن شعره

قالوا أتى العيد مفتر الثغور فخذ خط السرور فهذا موسم الطرب
فقلت والقلب فى أيدى الفراق لقى ومقلة العين تبكى من دم سرب
كيف السرور لنائى الدار مكتئب صب بعيد عن الأوطان مغترب[٦]

---

(١) نظامى العروضى: جهار مقاله، حواشى المقالة الثالثة، ص ١٥٧، عبد النيم حسنين: إيران والعراق، ص ١٨٥.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام عصرًا وبيئة ونتاجًا، ط١، الناشر مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، طبعة مكتبة الخانجى، القاهرة ت١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٨٧، أربرى: تراث فارسى، ترجمة محمد كفافى، السيد يعقوب، أحمد محمود الساداتى، محمد خفاجة، مراجعة يحيى الخشاب، مكتبة عيسى الحلبى، ١٩٥٩م، ص٢٧٧.

(٣) البيهقى: على بن زيد محمد بن الحسين، ت٥٦٥هـ/ ١١٧٠م، تاريخ حكماء الإسلام، تقديم وتحقيق ممدوح حسن محمد، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١٤٤.

(٤) نظامى العروضى: جهار مقالة، المقالة الثالثة، ص ٦٨.

(٥) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص١٩٦.

(٦) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص ٤١.

كذلك كان للوزير "سعد الملك الآوجى" وهو ممن وزر للسلطان بركيارق[١] اهتمام كبير بالعلم والعلماء وكان حريصًا على حضور مجالس العلم، ليرغب الناس فيه[٢].

وفى عهد السلطان سنجر بن ملكشاه (٤٩٠ - ٥٥٢هـ/ ١٠٩٦ - ١١٥٧م) تجلت نهضة ثقافية شملت العلوم والآداب[٣]، ويرجع ذلك إلى إتخاذه خراسان مقرا له ومن مرو عاصمة لدولته[٤]، مما جعل كبرى مدن خراسان والمشرق من أهم مراكز الثقافة خلال ذلك العصر فقد صار إقليم خراسان فى عصره مقصدا للناس جميعا، ومنهلاً للعلوم، ومنبعًا للفضائل، ومعدنًا للفضل والعلم، وكان سنجر يحترم علماء الدين احترامًا كبيرًا ويتقرب إليهم تقربًا تامًا، ويميل ميلاً كاملاً إلى الزهاد والعباد، ويختلى بهم[٥]. ولقد تجلى تأثير الأدب الفارسى بالأدب العربى فى عصر السلطان سنجر، فيقول النظامى فى العروضى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، أن الكاتب الجيد هو الذى يستفيد من كل علم وعالم وحكيم وأديب سابق عليه[٦]، وكان النظامى العروضى من الكتاب المعاصرين للسلطان سنجر وكان قد اتصل به عندما كان مقيمًا عند حدود طوس بخراسان سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[٧].

وممن وزر للسلطان سنجر الوزير شهاب الإسلام عبد الرازق بن الفقيه عبدالله ابن على ابن أخى نظام الملك ت ٥١٥هـ / ١١٢١م، وكان من فقهاء نيسابور وممن لهم الرياسة الدينية فيها[٨]، وكان متبحرًا فى علم الشرع، متكلمًا فى الأصل والفروع[٩]، وممن عاصروا شهاب الإسلام من الشعراء الشاعر أبو عبدالله

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ١٧١.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٧.
(٣) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم، ص ١٢٤، يحيى الوزنة: الدولة السلجوقية، ص ٢١٤.
(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص١٧٨، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٧.
(٥) الروانذى: راحة الصدور، ص ٢٦٠.
(٦) جهار مقالة، ص ٢٣، محمد محمود إدريس: المرجع السابق، ص ١٢٥.
(٧) النظام العروضى: جهار مقاله، ص ٧، يحيى الوزنة: المرجع السابق، ص ٢٦٠.
(٨) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٥٣.
(٩) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٤٥، خواندمير: المصدر السابق، ص ٢٧٦.

محمـد بن عبد الملك المعزى ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، أمـير الشعراء، ومن قـصيدة فى مدحه:

شـــهـــاب الـدين المسـلم وأثيـــر الأنام
ومن يفوق بقدرة الشـهاب وفلك الأثير(١)

وكان الوزير معين الدين أبو النصـر بن أحمد الكاشى "وزير السلطان سنجر اهتمام كبير بالعلم والعلماء، حيث أمر ببناء المدارس والخوانق والأربطة والمؤسسات الخيرية فى جميع البلاد (٢).

كذلك كان للوزيـر "نصير الدين أبو القاسم محـمود بن أبى توبة المروزى" وهو ممن وزر للسلطان سنجر اهتـمام كبير أيضـا بالعلم والعلماء، فقد كـان نصير الدين نفسه من الكتاب المهرة ومن مشجعى العلماء والأدباء(٣)، ولقد خصه العلماء بمصنفاتهم، فصنف له عمر بن سهلان الساوجى كتاب "البصائر النصرية"(٤) ومن شعراء الفـارسية أوحد الدين محمـد بن إسحق الأنورى المتوفى بين سنتى ٥٨٥ - ٨٨٧هـ / ١١٨٩ - ١١٩١م، وقد امتدح نصر الدين المروزى بقصيدة منها:

وزيـر مـلـك الـسـلـطـان المـعـظـم
نـصـــيـــر دين الـله ورســـولـه
مـــحـــمـــود، دنيـــا الحـــمـــد
ذاك الذى اقتـبس الدنيـا من جاهة حـمدها
أنت مـــخـــدوم الأنـورى القـــديم(٥)

أمـا الوزير "قوام الديـن أبو القاسم بن حـسن الدركـزينى" ت ٥٢٧هـ / ١١٣٢م، وهو ممن وزر للسلطان سنجر أيضا، فـقد كان على علم تام ببعض فنون

---

(١) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٥٤.
(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٠.
(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٨٥.
(٤) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٤٦، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٣.
(٥) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٨٦، ٣٨٧.

الفضائل مـثل الشعر والإنشاء، ولذا اهتم بالـشعراء فشملهم بعنـاية وإحسانه[1]. فنظم الشعراء إشعارًا فى مدحه، وللمعزى ثلاث قصائد فى مدحه[2].

هكذا بفـضل رعاية واهتـمام السـلاطين والوزراء بالحيـاة الفكرية فى إقليم خراسان، زخرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلم والعلماء ومؤلفاتهم، بكافة ألوانها ومذاهبـها، وأصبح هـذا الإقليم مركزًا من مـراكز الإشعـاع الثقـافى الذى بثه فى الأقاليم المجاورة.

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٧.

(٢) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٣٩٤.

ثانيًا: الصراع السنى السنى

كان الصراع السنى السنى، وما خلفه علماء مذاهب السنة المختلفة من مؤلفات علمية، تشهد تعصب مذهب معين للرد على مذهب مخالف، أثرى الحياة الفكرية بالكثير من المؤلفات العلمية لنصرة هذا المذهب أو ذاك.

كما كان للعلماء المنتمين إلى المذاهب الأربعة دور عظيم فى تنشيط الحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، تمثل فى إنشاء المدارس الشافعية، والحنفية، والحنبلية، فكان لكل مذهب مدارسه المعروفة، فكان رجال الأمة الحريصون على مصالح الإسلام جادين فى العمل على دعم النشاط العلمى والثقافى، وإشاعة العلوم الشرعية، وتبنى استخدام المنطق والجدل وعلم الكلام للدفاع عن عقيدة أهل السلف. وقد أدى ذلك إلى انتعاش علمى هائل تمثل فيما ظهر من المؤلفات العلمية المختلفة للدفاع عن العقيدة وشرح أصولها، وإبراز وجهات النظر الفقهية المذهبية، وإخراج تراجم لرجاله، والكتابة عن مناقب شيخ المذهب[1].

وكان الصراع السنى السنى فى ذلك العصر، من وسائل ترويج سوق الثقافة، وأوضح دليل على صحة ذلك الآثار العلمية الوفيرة التى خلفها علماء مذاهب السنة المختلفة[2].

لقد كان العصر السلجوقى من أهم العصور التى اشتدت فيها الخلافات الدينية والعقائدية، وراجت فيها العلوم الدينية، وتدخل فيها العلماء والفقهاء بل والوزراء المذهبيون فى شئون السياسة والحكم مما تسبب عنه انحراف العلم عن محوره الحقيقى وهو البحث عن حقائق الأشياء، وأدى ذلك إلى ضيق النظر، وجعل الفلسفة والحكمة تابعين لمجادلات أصحاب المذاهب ومناظرتهم[3].

---

(١) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) عبد النعيم حسانين: إيران والعراق فى العصر السلجوقى، ص١٨١، ١٨٢، رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق فى العصر البويهى، ص٩١، ٩٢.

(٣) قاسم غنى: تاريخ تصوف دار إيران، طبعة طهران، ١٣٦٢هـ، ١٣٢٢هـ، ش، ص ٤٦٤، ٤٦٥، أحمد كمال حلمى: السلاجقة فى التاريخ والحضارة، دار البحث=

ولذلك ساد الاضطراب الدينى والمذهبى طوال العصر السلجوقى، وكثر المتعصبون لمذهب معين مما أدى إلى ظهور الصراع المذهبى السنى السنى.

كان السلاجقة مسلمون على المذهب الحنفى فتعصبوا له، واختصوا العلماء من أصحاب أبى حنيفة بالعطف والرعاية بحيث استقرت محبتهم فى قلوب الناس جميعا[١].

وكان الخليفة العباسى سنيا شافعيا وقت دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م[٢]، وقد تعصب السلاجقة لمذهب أهل السنة على المذهب الحنفى، وكانت لهم طرقهم الخاصة للدفاع عن السنة، وجلب الناس إلى حظيرتها، وغالبا ما اعتمدت هذه الطرق على العنف والقمع والتهديد بالموت، ونادرا ما اتخذت من الحجة وسيلة[٣].

ولقد رأى سلاطين السلاجقة أن الخليفة هو خليفة رسول الله ﷺ، والمصدر الروحى الذى يمنح الحكومات صفتها الشرعية لذا بالغوا فى احترامه ونصرته وتأييده[٤]. وكانوا مخلصين لخليفة رسول الله ﷺ الذى يستمد حكمة من الله (نظرية الحق الإلهى فى الحكم) فى نظرهم، فقلدوه فى استمداد حكمهم أيضا من الله تعالى[٥].

=العلمية، الكويت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ص٢١٥، حسين أمين: تاريخ العراق فى العصر السلجوقى، ط مكتبة الأهلية، بغداد، ١٩٦٥م، ص٢٥.

(١) ابن بى بى: العلامة يحيى بن محمد (من مؤرخى القرن السابع الهجرى) سلجوق نامة، ترجمة محمد ذكريا، مائل ط١، جولانى، نشر إشفاق أحمد، كلبرك، لاهور، ١٩٤٥م، وقد اختصر هذا الكتاب تحت اسم مختصر "سلجوق نامة" ترجمة محمد السعيد جمال الدين تحت عنوان "أخبار سلاجقة الروم" نشر مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص٤: ٨.

(٢) البغدادى: أبو بكر أحمد بن على، ت ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م، تاريخ بغداد أو " مدينة السلام" ط١، عدة أجزاء دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ج١١، ص٢٤٩، مصطفى جواد: المدرسة النظامية ببغداد، مقال منشور بمجلة سومر بغداد، الجزء الثانى من المجلد التاسع، ١٩٥٣م، ص٣١٨، ٣١٩.

(٣) سهيل ذكار: مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣م، ص١٢١.

(٤) أحمد كمال حلمى: السلاجقة، ص٢١٦.

(٥) الروانديى: راحة الصدور، ص١٩٧.

ولقد بدأ الصراع السنى السنى فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م، عندما دخل طغرلبك مدينة نيسابور الشافعية، حيث وقف على مقالات الأشعرى[١].

لأبى الحسن الأشعرى الشافعى ت(٣٢٤هـ/ ١٩٣٥م)[٢]، فأقر بلعن الأشعرى على المنابر فى خراسان كلها، وعلق على مقالات الأشعرى بقوله "إن هذا يشعر بأن ليس لله فى الأرض كلام"[٣]، فعز ذلك على أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى[٤] ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، فصنف رسالة سماها "شكاية أهل السنة لمانالهم من المحنة" وقال فيها "أيلعن إمام الدين ومحيى السنة"، وأنكر أصحاب الأشعرى أن ينسب إليه ما قاله طغرلبك وقالوا "هذا محال وليس بمذهب له"، فقال طغربك، إنما نوعز بلعن الأشعرى الذى قال هذه المقالات فإن لم تدينوا

(١) الأشعرى: بفتح الألف وسكون الشين المعجمة، وفتح العين المهملى وكسر الراء، هذه النسبة إلى أشعر وهى قبيلة مشهورة من اليمن، والأشعر هو نبت بن أدبدبن زيد بن يشجب عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقيل أشعر لأن أمه ولدته والشعر على كل شئ منه فسمى الأشعرى. السمعانى: الأنساب ج١، ص ١٧٣. المقريزى: تقى الدين أحمد، ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق، القاهرة، ١٢٧٠م، ج٢، ص٣٥٨.

(٢) أبى الحسن الأشعرى: هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبى بشر اسحاق بن إسماعيل ت٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، وحقيقة مذهبه أنه سلك طريقا بين النفى الذى هو مذهب الاعتزال، وبين الإثبات الذى هو مذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا، واحتج لمذهبه، فمال إليه جماعة، وعولوا على رأيه، ولقد صعد الأشعرى على منبر جامع البصرة وبرأ نفسه من الاعتزال بقوله" كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعال الشر، وها أنا تائب من الاعتزال". لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٤: ٢٨٦، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٢، ص٣٠٣: ٣٠٥.

(٣) ابن تغرى بردى: أبو المحاسن جمال الدين يوسف، ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، عدة أجزاء، ط دار الكتب المصرية، ١٩٣٣، ج٥، ص٥٤.

(٤) القشيرى: بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة من تحتها باثنين وفى آخرها الراء هذه النسبة إلى بنى قشر. السمعانى: الأنساب، ج٤، ص٤٠٨.

بهـا، ولم يقل الأشعـرى شيـئا منهـا فلا عليكم مما نقـول ولا يلحقكم ضـرر مما نصنع[1]، فقـالوا الأشعرى لـم يقل هذا، ودخل القشيـرى ومعـه مجمـوعة من الشافعية يستعطفون طغرلبك بوقف لعن الأشعرى، فرفض وقال "الأشعرى عندى مبتـدع يزيد على المعتزلة[2]" لأنهم اثبتـوا أن القرآن هو المصحف وهو نفاه فـقال القشيرى "قولهم أن مذهب الأشعرى أن القرآن لم يكن بين الدفتين، وليس القرآن فى المصحف إنما هو تشنيع فظـيع، وتلبيس على العوام، إن الأشعـرى وكل مسلم غير مبـتدع يقول أن القرآن كلام الله، وهو مكتوب فى المصاحف على الحـقيقة لا على المجاز"[3].

(١) ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٨، ص١٥٩، ١٦٠.

(٢) المعتـزلة: تنسب المعتزلة إلى مؤسـسها واصل بن عطاء وكـان تلميذا "للحسن البـصرى" وذلك حين اختلف معه واصل فى مسـألة مرتكبى الكبائر بقوله: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد هو وبعض من وافقه على ذلك الرأى، فقال الحسن البصـرى" اعتزل عنا واصل، فسمى هو وأصحابه معتـزلة. الشهرستانى أبو الفتح مـحمـد بن عبـد الكريم بن أبى بكر أحمـد، ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، الملل والنحل تحقيق د. محمد سيد كيـلانى، جزءان فى مجلد واحد، ومطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ج١، ص٤٨، زهدى حـسن جـار الله: المعـتزلـة، نشر المكتـبـة الأزهرية للتراث، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٢.

والمعتزلة: يسمون أصحاب العـدل والتوحيد، العدل على مذهب السنة أن الله تعالى عدل فى أفـعاله، بمعنى أنه مـتصرف فى ملكه، يفـعل ما يشاء ويحكـم ما يريد، وعلى مذهب أهل الاعتـزال: العدل ما يقتـضيه، العقل من الحكمة، وهو إصـدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة، أمـا التوحيد على مذهب أهل السنة وجمـيع الصفاتية: أن الله تعالى واحد فى ذاته لا قسيم له، وواحد فى صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد فى أفعاله لا شريك له، وقال أهل العـدل والاعتزال: أن الله تعالى واحد فى حد ذاته، لا قـسمة ولا صفة له، وواحد فى أفعاله لا شريك له، فلا قـديم غير ذاته، ولا قسيم فى أفعاله، ومحال وجود قديـمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد عندهم. الشـهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص٤٢، محـمد أحمد خضـر: الفرقة والإسلام بين الشـيعة وأهل السنة، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص٢٠٣، ٢٠٤.

(٣) سبط ابن الجوزى: أبو المظفر شمس الدين قزو أغلى، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٥١ تاريخ، ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥، ورقة ٧.

والسؤال الآن: هل أمر طغرلبك بلعن الأشعرى من نفسه؟ أم كان هناك محرض وراء عملية اللعن هذه؟ الحقيقة أن طغرلبك البدوى التركى الذى كان أميا لا يقرأ ولا يكتب إلا بصعوبة وكانت لغته العربية ضعيفة، كل ذلك يؤكد أن طغرلبك الحنفى المذهب لم يكن وراء عملية اللعن هذه، وإنما هناك شخص أخر دفعه إلى ذلك، وهذا الشخص هو وزيره عميد الملك الكندرى الحنفى المذهب، الذى كان يبالغ فى اهتمامه بأئمة المذهب الحنفى، كما كان شديد التعصب على الشافعية[1]، وهو الذى أوعز إلى طغرلبك بلعن الأشاعرة والرافضة (الشيعة) وأعتبر الأشعرى منهم وآذى بعض أعيان الأشعرية الشافعية كالإمام أبى القاسم القشيرى، وأمام الحرمين أبى المعالى الجوينى[2] ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وسبهم على منابر خراسان، ففارقوها، وأقام الجوينى بمكة أربع سنوات يدرس هناك إلى أن توفى الكندرى سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٥م، ولذلك لقب بإمام الحرمين، ودخل على الناس من ذلك أمر عظيم، وآثار همة صلحاء المسلمين[3].

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٣٨.

(٢) أبى المعالى الجوينى: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله بن حيوعة الجوينى النيسابورى، إمام الحرمين، أبو المعالى ولد الشيخ أبى محمد من أهل نيسابور وجوين قرية من قرى نيسابور ولد سنة ٤١٩هـ/ ١٠٢٨م، وتفقه فى صباه على والده وله دون العشرين سنة، ولما مات أبوه جلس مكانه فى التدريس، كما درس على يد أبى القاسم الاسكافى الإسفراييني بمدرسة البيهقى، ثم سافر إلى بغداد لتعلم، وخرج إلى مكة وجاور البيت أربع سنوات يفتى ويعلم، ولهذا قيل إمام الحرمين، ثم عاد إلى نيسابور فى عهد ألب رسلان، ووزيره نظام الملك الذى بنى له المدرسة النظامية فى نيسابور، وجلس للوعظ والتعليم فيها، وله تصانيف كثيرة منها " العقيدة النظامية" وغيات الأمم ومغيث الخلق، ولما مرض نقل إلى قرية بشتقان من نواحى نيسابورموصوفة باعتدال الهواء، فتوفى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، ونقل إلى نيسابور ودفن فى داره، ثم= =نقل بعد سنتين إلى مقبرة الحسين، فدفن بجوار أبيه، وصلى عليه ولده أبو القاسم، وجلس الناس لعزائه، كما أكثر الشعراء فى مراثيه حتى أن تلاميذه الأربعمائة يومئذ كسروا أقلامهم ومحابرهم كما كسروا منبره فى الجامع. ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص١٨: ٢٠، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص١٦٨: ١٧١. ابن هداية طبقات الشافعية، ١٧٤: ١٧٦.

(٣) القزوينى: آثار البلاد: ص٤٤٧.

ولنا أن نتساءل ما هو الدافع الذى كان وراء تحريض عميد الملك الكندرى لطغرلبك على لعن الأشاعرة؟ يرى بعض الباحثين أن الكندرى كان حنفيا متعصبا فصب جام غضبه للسلطان على من خالفهم فى المذهب[١]. ويرى البعض الأخر أن الكندرى خاف على منصبه من منافسه اللدود أبى سهل بن الموفق النيسابورى الأشعرى المذهب[٢].

الخصومة إذا بين الكندرى والأشعرية خصومة سياسية مذهبية سببها المنافسة بينه وبين أبى سهل بن الموفق على الوزارة وهذا الخصم أشعرى شافعى يجتمع حوله العلماء، فلما لا يسعى الكندرى إلى التنديد بالشافعية والأشعرية حتى ينال من خصمه عند السلطان[٣]، خاصة وأن أسرة أبى سهل كانت على صلة فيما يبدو بطغرلبك، إذ يذكر بعض المؤرخين أن الذى رشح الكندرى لطغرلبك هو الموفق والد أبى سهل[٤].

ولقد اتهم السبكى[٥] عميد الملك الكندرى بأنه رافضى بل اتهمه بالكرامية[٦]، ولكن الجمع بينهما محال عقلا ونقلا

---

(١) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص٥٤، حسين أمين: تاريخ العراق، ص٢٥، ٢٦.

(٢) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٣١٨، ٣١٩.

(٣) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، الطبعة الثانية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١١٢.

(٤) البندارى: تاريخ دولة آل سلجوق، ص٣١، عباس إقبال: الوزارة، ص٥٤.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٩٠.

(٦) الكرامية: تنسب إلى أبو عبد الله محمد بن كرام، وكان مطرودا من سجستان إلى غرجستان وورد نيسابور فى عصر الدولة الطاهرية ٢٠٥ - ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ - ٨٧٣م، وكثر أتباعه فى نيسابور ودعاهم إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسمه حدود نهاية من تحته واجهة التى منها يلاقى عرشه، ووصف معبوده أنه جوهر، وقد ذكر أن الله تعالى مماس لعرشه، وأن العرش مكان له، وأبدل أصحابه لفظ المماسة، بلفظ الملاقاة منه للعرش وقالوا: لا يصح وجود جسم بينه وبين العرش إلا بأن يحيط العرش إلى أسفل، واختلف أصحابه فى معنى الاستواء المذكور فى قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»=

لاختلافهما[1]، بل زاد وقال أن الكندرى كان يميل إلى المعتـزلة بقوله "واستعان عمـيد الملك الكندرى بطائفة من المعـتزلة، الذين زعمـوا أنهم يقلدون مذهب أبى حنيفة، وأشربوا فى قلوبهم فضائح القدرية[2]، واتخذوا التمذهب بالمذهب الحنفى سياجا عليهم، فحببـوا إلى السلطان الأزدراء بمذهب الشافعى عموما، وبالأشعرية خصوصا[3].

ويرى د. عبد الرحمن بدوى[4]: أن عميد الملك لم يكن معتزليا ولا رافضيا وأن هجمته على الأشاعرة كانت دافعا سياسيا مذهبيا، وأن المعتزلة كانوا الفئة التى

=فـمنهم من زعم أن كل العـرش مكان له، وأنه لو خلق بإزاء العـرش عـروشا مـوازية لعرشه لصارت العروش كلها مكانا له، لأنه أكبر منها كلها، ومنهم من قال: أنه لا يزيد على عرشه فى جـهة المماسة، ولا يفضل منه شئ على العـرش، وهذا يقتضى أن يكون عرضه كعرض العرش، وكان من الكرامية بنيسابور رجل يعرف بإبراهيم بن مهاجر ينصر هذا القول ويناظر عليه، وقـد زعمت الكرامية أيضا أن الله تعالى لو اقـتصر على رسول واحد من أول زمان التكليف إلى القيامة وأدام شريعة الرسول الأول لم يكن حكيما، كما خاض الكرامية فى باب الإمامة والإيمان والفقـه منها قول ابن كرام فى صلاة المسافر: أنه يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود ولا تشهد ولا سلام وهذا من حماقات ابن كرام، للمزيد انظر: البغدادى: عـبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفراينى التميـمى ت٤٢٩هـ / ١٠٣٧م، الفرق بين الفرق: حققـه وعلق حواشيه محمـد محيى الدين بن عبد الحميد، مكتبـة دار التراث، القاهرة، ص٢١٥: ٢٢٥. الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٠٨ - ١١٣.

(١) مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٣١٨، ٣١٩، مـحمد عبد العظيم أبو النصر: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجـقة عصر السلاطين العظام (٤٢٩ - ٤٨٥هـ / ١٠٣٧ - ١٠٩٢م، رسالة دكـتوراة غير منشـورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص٤٥١.

(٢) القدرية: سمـو بذلك لأنهم زعموا أن الله تعالى غير خـالق لأكساب الناس ولا لشئ من أعمال الحـيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقـدرون على كسب أرزاقهم، وليس الله عز وجل هو الذى يكسبهم إياه ولا فى أعمـال سائر الحيوانات صنع وتقدير، ولأجل هذا القول ساهم المسلمون قدرية. البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٤، ١١٥.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٩١.

(٤) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص١١٣.

يمكن الاستعانة بها فى حروب الأشاعـرة لسببين: الأول لأنهم الأعداء التقليديون للأشاعـرة، ولهم قدرتهم علـى الجدل والمناظرة. والثـانى: أن معظم المعـتزلة فى خراسان كانوا أحنافـا فهم من الناحية المذهبية المحضة كـانوا أعداء الأشاعرة الذين يشكلون جمهور الشافعية.

وهكذا بدأت الـفـتنـة فى خـراســان بين المـعـتــزلة والأشــعـريـة سنة ٤٤٥هـ/ ١٠٥٣م، تلك الفـتنة التى قال فـيها السـبكى[١]: "هى الفتنة التى طار شرها فملأ الآفـاق، وطال ضررها فشمل خراسان، والشـام، والحجاز، والعراق، وعظم خطبها وبلاؤها، وقـام بها فى سب أهل السنة خطيبها وسـفهاؤها، إذ أدى الأمر إلى التصريح بلعن أهل السنة فى الجـمع، وتوظيف سبهم على المنابر". فقد حمل عميد الملك السلطان طغرلبك على إصدار أمره بالقبض على رؤساء الأشعرية فى خراسان. وكان أبو سهل الموفق رئيس الأشعرية فى ذلك الوقت غائبا فنجا من القبض، وأحس إمام الحـرمين بالأمر فاختفى وخـرج إلى الحجاز[٢]، وقبض على أبى القاسم القشيرى وآخرون، ومكثوا فـى السجن ما يقرب من شهر، إلى أن عاد أبى سهل إلى نـيسابور فـجمع رجالـه وأعوانه، وهاجمـوا السجن وأخـرجوا أبى القاسم القـشيـرى ومن معه من الأشـاعرة، فأغـضب هذا الأمر طغـرلبك، وأمر بالقبض على أبى سهل عليه فقبض عليـه وسجن، وصودرت أمواله وضياعه، ثم أفرج عنه وخرج، وذهب للحج[٣].

وبعد ذلك جرى استفـتاء، حول رأى الأئمة الأجلة فى ذلك، وأرسلوه إلى بغـداد، فلم يبق حنفى ولا شـافـعى إلا وبالغ فى الكتـاب، وعظمت عليـه هذه الرزية، فأصدروا فتواهم، وعندما وصل الخبر إلى البيهقى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م[٤]،

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ص٣٩١.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٠٢.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٩٢، ٣٩٣، بدوى: التاريخ السياسى، ص١١٣,

(٤) البيهقى: أحمد بن الحسن بن على بن عبد الله بن موسى البيهقى ت٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، كان أوحد زمانه فى الحفظ والإتقان حسن التصنيف وجمع علم الحديث والفقه والأصول وله التصانيف الكثيرة الحسنة، وجمع نصـوص الشافعى فى عشر مجلدات، ورد نيسابور مرارا بها توفى ونقل تابوته إلى بيهق. ابن الجوزى: المنتظم، ج٨ ص٢٤٢.

كـتب إلى عمـيـد الملك الكندرى كـتـابا دافع فيـه عن الأشـعريـة وأظهر فـضل الأشعرى[1].

ومع هذا الاحتـجاج من جانـب العلماء المفكرين، فقـد ظلت الفتنة قـائمة وعلماء الأشعرية مشردين عن أوطانهم حتى توفى طغرلبك عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وتولى بعده ابن أخيه ألب أرسلان، وكان قد أخذ لنفسه وزيرا شافعيا هو أبو على الحسن ابـن عل بن إسحـاق الطوسى الملقب بنظام الملك[2]، فأمـر بقل الكندرى، وإنشاء المدارس النـظامية، وأمـر الخطباء بالتـوقف على سب الأشعـرية، وأمرهم بالاستـمرار فى لعن الرافـضة (الشيـعة)، وأرضى بذلك جمـاعة كـبار الفقـهاء، وأحضر من انتزع من الأشاعرة وأكرمهم وأحسن إليهم[3].

ويتضح مما سـبق مدى الصـراع المذهبى السنى السنى، خاصة بـين المذهبين الشافعى، والحنفـى، مما أدى إلى أن تحولت السنة إلى طائفة كبيـرة أغلق منها باب الاجتهاد، فـزال الإبداع من بين صفوفها واختفى أعـلام الفكر والكبار، وكم كان خطيرا أن تفقد السنة حـيويتها، وإبداعاتها، وتنقلب إلى مـحافظة وقياس بحت، وتتحول كتبها إلى شروح وحواش ليس أكثر[4].

وكانت المنافسة والجدال خطيرا بين أهل السنة حول تفضيل المذهب الشافعى على الحنفى، أو العكس، أو حول تفضيل هذين المذهبين على سائر المذاهب، كما كان الجـدال يدور أحيانا حول اخـتلافات العلمـاء ومجادلاتهم المذهبـية التى تملأ خراسان وغيرها من البلاد الإسلامية، وهى خلافات فقهية حول الفروع، بل كانت المناظرات تعقـد فى المساجد ومجـالس العلم، فالكل يتقـرب إلى الله بالدفاع عن

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٣، ص٣٩٥، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢١٦.

(٢) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص١١٤.

(٣) ابن الأثيـر: الكامل فى التـاريخ، ج١٠، ص١٠ ومـا بعـدها، عـقـيلى: آثار الوزراء، ص٢٠٧.

(٤) سهيل ذكـار: مدخل إلى الحروب الصليبـية، ص١١٢، محمد عـبد العظيم: نظم الحكم وأهم مظاهر الحضـارة فى دولة الأتراك السلاجـقة، رسالة دكـتوراة غيـر منشورة، آداب الزقازيق، ١٩٩٥م، ص٤٥٢.

مذهبه، وبالأدلة التى يراهـا تدعمه، حتى أن المآتم كانت سـاحة للمناظرات، فإذا توفى أحد الفقهاء، أو توفى أحد من ذوى الشـأن كان مأتمه سوقا للمناظرات التى تقام فى مسجد حيه، وقد انعكست هذه الخلافات فى كتب الفقه[١].

وقد راجت المذاهب السنية الأربعة فى العصر السلجوقى رواجا كبيرا فى كل دولتهم، وإن كـان المذهبان الحنفى والشـافعى قد راجـا فى إيران أكثر من غـيرها وخاصة فى أقـاليمها الشـرقية كخراسـان وغيرها[٢]. وكان السلاجقـة أحنافا كما أشرنا سـابقا، وكـان وزرائهم ما بين شـافعى وحنفى، وكان السـلاطين والوزراء يولون اهتمـامهم أئمة الشافـعية (الأشاعـرة) أو الحنفية، وكان كل مـذهب يصوغ الأحكام، ويصدر الفتاوى طبقا للمذهب الذى يتبعه[٣].

وكان الجـدال يدور بين أصحاب ومـعتنقى هذه المذاهب، وكـان أشد أنواع النزاع بين الفرق السنية يتمثل فى النزاع بين الأشـاعرة والحنابلة، فالأشاعرة يرمون الحنابلة بأنهم لم يأتوا بشىء، بل اتبعوا منهج السلف والصحابة والتابعين[٤].

ففى سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م، قامت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية حينما دخل القشيرى بغـداد، بعد رحيله من نيسابور، فجلس فى المدرسـة النظامية يعظ الناس وينصر مذهب الشـافعى الأشعرى، وكثر أتـباعه فتضايق الحنابلة، وقـصدوا سوق المدرسة النـظامية، وقـتلوا جمـاعة، فغـضب أبو إسحـاق الشيـرازى الذى سائد القشيرى، وكاد يفارق بغداد لولا تدخل الخليفة العباسى المقتدى[٥].

وتجدد الـصراع بين الفـريقين فى خـراسان، حـينما اشـتكى أهل خـراسان للسـلطان ألب أرسـلان من أبو إسـمـاعـيل الأنصـارى الهـروى الحنـبلى ت٤٨١هـ/ ١٥٨٨م[٦] فحضر السلطان بنفسـه ومعه وزيره أبو على الحسن بن على

---

(١)محـمد أبو زهرة: تاريخ المذاهـب الإسلاميـة، ج٢، دار الفكر العربى، القـاهرة، بدون، ص٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، رسالة دكتوراة، غير منشورة، ١٩٩٥م، ص٤٥٢.

(٣) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص٢١٦.

(٤) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج٢، ص٢٥٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٤١٣.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٦٥.

بن إسحاق "نظام الملك" إلى هراة، فاجتمع أئمة الفريقين الحنفية والشافعية للشكوى من الانصارى ومطالبته بالمناظرة فاستدعاء الوزير فلما حضر قال: أن هؤلاء قد اجتمعوا لمناظرتك فإن يكن الحق معك رجعوا إلى مذهبك "الحنبلى"، وإن يكن الحق معهم فإما أن ترجع أو تسكت عنهم[1]، فقام الأنصارى وقال: أنا أناظر على ما فى كمى. فقال له: وما فى كمك؟فقال: كتاب الله، وأشار إلى كمه اليمين وسنة رسول الله ﷺ، وأشار إلى كمه الأيسر، وكان فيه الصحيحان، فنظر الوزير إلى القوم، كالمستفهم لهم فلم يكن فيهم من يمكنه أن يناظره[2].

وقد أدت هذه المناظرات والمحاورات والمجادلات، والتعصب بين فرق أهل السنة، إلى تحريك العامة وإثارتهم وإبراز تعصبهم[3]، كما حدث عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م حينما قام أهل هراة بإثارة السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك ضد أبو إسماعيل الأنصارى الحنبلى، مما اضطر السلطان ووزيره إلى إبعاد وأهله وخدمه، إلى ما وراء النهر، وأخرج الأنصارى ومن كان يعقد المجالس من أقاربه خاصة إلى مرو، ثم إلى بلخ، فمرو الروذ، ثم أذن له فى الرجوع إلى هراة، فعاد إليها عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وكان يوما مشهودا[4]، مما يدل على انتصار الحنابلة فى هذه الجولة.

ولكن لم يتسن للحنابلة وقت طويل للاحتفال بانتصارهم، إذا واجهوا تحديا جديدا من جانب الأشعرية متمثلا فى المدارس النظامية والتى أنشأها نظام الملك حيث أعطت دفعة قوية لمذهب الأشعرى، فقد أمكن لهذا المذهب أن يعلم رسميا، وأن تنفق الدولة على تعليمه وتتولى رعايته، كما أمكن علماء هذا المذهب أن

---

(١) الذهبى: أبو عبد الله شمس الدين محمد ت٧٤٨هـ / ١٣٤٨م، تذكرة الحفاظ ٤ أجزاء، دار إحياء التراث العربى، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، بدون، ج٣، ص١١٨٧.

(٢) ابن رجب الحنبلى: زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادى ثم الدمشقى الحنبلى ت٧٩٥هـ / ١٣٩٢م، طبقات الحنابلة، جزءان، دار إحياء الكتب العربية، نشر فيصل عيسى البابى الحلبى، بدون، ج١، ص٥٤.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص٤١٣.

(٤) ابن رجب الحنبلى: المصدر السابق، ج١، ص٥٦.

يكونوا أساتذة هذه المؤسسات الفكرية، ولهذا كسب المذهب الأشعرى الجولة الأخيرة فى صراعه مع المذاهب المختلفة[1].

وفى عهد السلطان سنجر ت (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، تغير الحال، فقد أخرج من المناصب فى جميع الأنحاء الخاضعة له كل من لم يكن من أصحاب أبى حنيفة وأسندت المناصب إلى أصحاب أبى حنيفة، كما اختص بعناية أئمة المذهب الحنفى فى خراسان وغيرها[2].

وقد تدخل سلاطين السلاجقة وزرائهم بصورة بشعة لنصرة طائفة على أخرى كما سبق، فآذوا فرق كثيرة، وقسوا على علماء أجلاء كالقشيرى والجوينى والأنصارى وغيرهم.

(١) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص٥٧.
(٢) الروانذى: راحة الصدور، ص٥٧.

ثالثا: الصراع السنى الشيعى

لم يكن الصراع السنى الشيعى وليد العصر السلجوقى، أو الذى قلبه، وإنما كان نتيجة ظروف وملابسات عقائدية وسياسية حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ، ولقد انتشر التشيع[١] فى معظم بلدان العالم الإسلامى، وخاصة فى بلاد خراسان[٢]، وعد الشيعة خلفاء بنى العباس غاصبين للخلافة، واتهموهم بالتقاعس وعدم الاهتمام بالإسلام، والامتناع عن الدفاع عن حدود العالم الإسلامى[٣] وتمكن الشيعة من الظهور بكثرة وحرية حينما سيطر ملوك بنى بوية الشيعة على مقدرات الأمور فى بغداد[٤]، وبعد أن أصبح للفواطم الشيعة خلافة قوية تنافس الخلافة العباسية فى القاهرة، والتى حاولت نشر مذهبها فى معظم بلدان المشرق الإسلامى التى كانت بحوزة بنى العباسى، مثل اليمن والعراق وبلاد الشام، وإيران وخراسان[٥]، عن طريق دعاة استطاعوا نشر المذهب الإسماعيلى[٦] فى بعض

(١) التشيع: نسبة إلى الشيعة وهى لفظ يطلق على أتباع الرجل وأنصاره، فيقال فلان من شيعة فلان أى ممن يهوون هواه، أو كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهى المطاوعة والمتابعة. الزبيدى: محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسينى الحنفى ت١٢٥٠هـ/ ١٧٩٠م، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الحياة بيروت، بدون، ط مصر، ١٣٠٦هـ، ج٥، ص٤٠٥.

والشيعة هم الذين شايعوا على بن أبى طالب رضى الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته، نصا ووصية، إما جليا أو خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هى قضية أصولية، وهى ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم الصلاة والسلام إغفاله أو إهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله. الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٤٦.

(٢) أحمد الشامى: الدولة الإسلامية فى العصر العباسى الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص٢٥ - ٣٦.

(٣) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات در إيران، طهران، ١٣٣٦ش، ج٢، ص٢١٥.

(٤) أحمد الشامى: المرجع السابق، ص٧٣ وما بعدها.

(٥) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١، ص٥٨.

(٦) الإسماعيلية: سموا "بالإسماعيلية" نسبة إلى "إسماعيل" بن الإمام جعفر الصادق وهو=

أجزاء من العراق والشام وخراسان، وعاصر هذا الانتشار ظهور دولة الأتراك السلاجقة التى تعصبت لأهل السنة وخلفاء بنى العباس، ودافعت عن المذهب السنى مذهب الخلافة العباسية دفاعا مستميتا[1]. ويظهر ذلك جليا سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، حينما أصبحت بغداد مدينة فاطمية شيعية لمدة عام كامل أثر

=أكبر أولاد الإمام الصادق، وكان يحبه حبا شديدا، حتى ظن قوم بأنه هو القائم بعد أبيه، ولكنه توفى ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة. وقد حزن عليه أبوه حزنا شديدا. وتقدم إلى سريره بلا حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره مرارا قبل دفنه، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه، ليؤكد بذلك أمر وفاته، لئلا يظن أنه هو الخليفة، ومع ذلك كله قالوا بإمامته. الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٩١. أبو مصعب البصرى: أضواء على الفرق والمذاهب الإسلامية، ط١، طبع حيدر النجفى، نشر انتشارات الشريف الرضى، ١٣٧٧هـ / ١٤١٩م، ص٨٨، برنارد لويس: أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، راجعه وقدم له د. خليل أحمد خليل نط١، دار الحداثة، لبنان، ١٩٨٠م، ص٦٩.

ويقسم النوبختى والقمى من قال بإمامة إسماعيل بعد وفاة أبيه جعفر الصادق إلى فرقتين: فرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر ابنه إسماعيل وأنكرت موت إسماعيل فى حياة أبيه، قالوا كل ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمور الناس، وأنه هو القائم. وهذه الفرقة هم الإسماعيلية الخالصة.

وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر هو محمد بن إسماعيل وقالوا أن الأمر كان لإسماعيل فى حياة أبيه فلما توفى أبيه جعل جعفر الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له، ولا يجوز غير ذلك لأن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، ولا تكون إلا فى الأعقاب، وأصحاب هذه الفرقة يسمون المباركية برئيس لهم وكان يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر. الحسن بن موسى النوبختى، وسعد بن عبد الله القمى من أفاضل علماء رأس الثلاثمائة الهجرية، فرق الشيعة، حققه وصحح نصوصه وعلق عليه وقدم له بدراسة وافية د. عبد المنعم الحفنى، ط١، دار الرشاد، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٧٨، ٧٩، محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، بحث فى تطور الدعوة الإسماعيلية إلى قيام الدولة مع ترجمة للنص الفارسى الذى ورد عنها فى كتاب "تاريخ جهانكشاى" لعطا ملك الجوينى، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٢٣.

(١) محمد العظيم أبو النصر: نظم الحكم، ص٤٥٧.

فتنة البساسيرى[1]، فكان سيف السلطان طغرلبك كفيلا بالقضاء على البساسيرى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م[2].

ولم يهدأ الشيعة، على الرغم من تعصب السلاجقة ووزرائهم للسنة واضطهادهم كل الفرق الشيعية وطردهم من أجهزة الدولة، فلقد عاب نظام الملك على سلاطين دولته الذين قالوا بتوظيف عدد من غير المسلمين كاليهود، والمسيحيين، والملاحدة والإسماعيلية[3]، ويرى أن الخير فى إبعاده هؤلاء جميعا عن الجهاز الإدارى للدولة، وإلا فإن وجودهم سوف يقودها إلى الاندثار لا محالة[4]. ولقد استجاب له السلاطين السلاجقة، فطردوهم من الوظائف الإدارية واستخدموا القسوة معهم خاصة مع الإسماعيلية (الباطنية) حتى لقد كان الرافضة[5]، فى ذلك العهد يرادفون عبدة النار والكفار وكان يضرب المثل بقسوة

(١) البساسيرى: هو المظفر أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى التركى مقدم الأتراك ببغداد يقال أنه كان مملوك بهاء الدولة بن بوتة وهو الذى خرج على الخليفة القائم بأمر الله ببغداد، وكان قدمه على جميع الأتراك وقلده الأمور بأسرها وخطب له على منابر العراق وخوزستان فعظم أمره وهابته الملوك، ثم خرج على الخليفة العباسى القائم بأمر الله من بغداد وخطب للمستنصر العبيدى صاحب مصر، وظلت بغداد مدينة فاطمية شيعية لمدة سنة كاملة حتى جاء طغرلبك السلجوقى وقتله وقضى على ثورته. ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٠ - ٩١.

البساسيرى: بفتح الباء الموحدة والسين المهملة وبعد الألف سين مكسورة ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها وبعدها راء هذه النسبة إلى بلده بفارس يقال لها بساو بالعربية فساو والنسبة إليها بالعربية الفسوى، وكان البساسيرى من بسا فنسب إليها واشتهر بالبساسيرى. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٨٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٢١٠، ٢١١، ابن كثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٩١. ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٨٧، ٢٨٨.

(٣) الإسماعيلية: لهم ألقاب كثيرة منها الباطنية ولزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا، ومن ألقابهم أيضا القرامطة، والمزدكية، والملاحدة والتعليمية. الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٩٢.

(٤) نظام الملك: سياسة نامة، ص٢٣٤ وما بعدها.

(٥) الرافضة: سموا بذلك لرفضهم زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب لأنه مدح أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب، وعندما سمعت شيعة الكوفة مدحه للشيخين،=

السلطان ألب أرسلان فى هذا الصدد حتى قيل أنهم منعوا من امتلاك المدارس وغيرها من مؤسسات العلم، ومنع أفرادها من حضور مجالس البحث والنظر[١]. بل إن العلماء الذين عاشوا فى خراسان من أهل السنة، بما لهم من نفوذ كانوا ينادون بمعاداة الفرق غير الإسلامية كافة ويروجون عددا من الأحاديث تحرض على قتلهم[٢].

ولقد قام نظام الملك ببناء المدارس النظامية فى بغداد نيسابور وهراة ومرو وبلخ، لنشر وتعليم المذهب الأشعرى السنى، لمقاومة الفكر الشيعى الإسماعيلى[٣]. بل لقد قاوم سلاطين السلاجقة المذهب الإسماعيلى بأقصى ما يستطيعون من قوة وصبغوا عداء الإسماعيلية للدولة السلجوقية بصبغة العداء للدين نفسه[٤].

وعلى الرغم من ذلك اشتدت شوكة الدعوة الإسماعيلية فى إيران وخراسان بصفة خاصة، وكسبت الكثير من المستجيبين، واستطاعت فى النهاية أن تثبت أقدامها، وتحرز نصرا سياسيا كبيرا بالاستيلاء على مناطق شاسعة فى تلك المنطقة من العالم الإسلامى[٥].

ولقد واكب نجاح الإسماعيلية السياسى فى سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م الاستيلاء على إحدى قلاع أصفهان وهى قلعة الموت[٦] المنيعة ذات الوديان الصالحة للزراعة

=وعرفوا أنه لا يتبرأ منهما رفضوه، حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة. الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص١٥١.

(١) نصير الدين أبو الرشيد عبد الجليل: بعض مثال النواصب فى نقض بعض فضائح الروافض، طبعة طهران، ١٣١١هـ، ص٤٥ وما بعدها.

(٢) أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص٢١٩.

(٣) عبد الكريم عرابية: العرب والأتراك، طبعة دمشق، ١٩٦١م، ص٩٨. مصطفى جواد: المدرسة النظامية، ص٣٢٣.

(٤) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، ص٩٨ وما بعدها.

(٥) مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥، ص٢١٤ - ٢١٧.

(٦) الجوينى: عطا ملك ت٦٦٨هـ / ١٢٨٩م، تاريخ جهانكشاى، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣، ص٢٠٠ - ٢٠٣.

والتى كانت وغيرها من القلاع تكون وحدة اقتصادية عسكرية مستقلة بذاتها يعيش أهلها معتمدين على أنفسهم فى زراعة الأرض، والدفاع عن القلعة وما حولها فى مواجهة أى غزو أو اعتداء خارجى، ولقد كان للوفرة والتنوع الذى امتازت به المحاصيل التى يمكن أن تزرع فى هذه المنطقة أكبر الأثر فى تحقيق استقلالها وتكاملها الاقتصادى[١].

ولقد كان الخلاف الذى دب بين السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك[٢]، من العوامل التى ساعدت على نجاح الإسماعيلية فى الاستيلاء على هذه القلعة المنيعة إلى جانب أن سلاطين السلاجقة لجئوا منذ البداية إلى الإقطاع كأسلوب إدارى[٣] فى إدارة شئون البلاد المترامية الأطراف تحت حكمهم، مما أدى إلى نشوب المنازعات بين حكام هذه الولايات بعضهم ببعض، وإلى تفتيت قوتهم ونزوعهم إلى الاستقلال المطلق عن السلطة المركزية، فبينما كانت قوة سلاطين السلاجقة تميل إلى الانخفاض، كانت قوة حكام الولايات تزداد بحيث يصبح كل منهم حاكما شبه مستقل[٤].

غير أن هناك سببا أخر أدى إلى قيام دولة الإسماعيلية، هو أن النظام الإقطاعى العسكرى السلجوقى أدى إلى وجود طبقة اجتماعية فى المدن، كما أدى إلى ازدياد أهمية المدن فى عصر السلاجقة، حيث صار لبعض المدن شخصيتها الواضحة المميزة[٥]، ونتج عن ذلك ظهور عدة طبقات فى كل مدينة، كالعظماء من المقطعين، والأشراف والتجار والصناع، والفقراء الذين زاد عددهم، بل وظلموا من جانب المقطعين[٦]، فاستغل دعاة

(١) ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمها إلى الإنجليزية ونشرها وليم مارسون، ترجمها إلى العربية عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص٦٤.

(٢) الراوندى: راحة الصدور، ص٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية فى الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٣ - ٢٠.

(٤) ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات دار إيران، ج٢، ص١٢٤.

(٥) عبد النعيم حسانين: نظام الكنجوى شاعر الفضيلة، القاهرة، ١٩٤٥م، ص٥٨.

(٦) محمود إسماعيل عبد الرازق: الإقطاع الإسلامى من منتصف القرن الخامس إلى أوائل القرن العاشر الهجرى، حوليات كلية الآداب، حولية رقم ١١، الكويت، ١٩٨٩م، ص٤١.

الإسماعيليـة هذا التمايز الطبقى، فدعوا الطبقات الكادحـة كعادتهم إلى دعوتهم، فكثر أتباعهم[١].

لقد كان استيلاء الحسن الصباح[٢] زعيم الإسماعيلية على قلعة الموت المنيعة سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م أول بوادر النجاح السياسى للإسماعيلية فى إيران وخراسان، ثم تلاها نجاح آخر بالاستيلاء على ولاية قوهستان المجاورة لخراسان سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١ والتى أصبحت لها حكامها المحليون يتبعون ملوك الإسماعيلية فى الموت حتى قضى عليهم المغول[٣]، ثم نجاح ثالث بالاستيلاء على قلعة شاهدز[٤] سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م[٥]، كما فرضوا سيطرتهم على عدة مدن رئيسية مثل طبس فى خراسان، وهكذا نجحوا فى إنشاء دولة إقليمية بالفعل[٦].

كان استيلاء الحسن الصباح وأعوانه على هذه القلاع والأماكن الحصينة بداية لما نالوه من سلطة سياسية، ذلك أن المستنصر الفاطمى (٤٢٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ -

---

(١) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران ص٩٩، وما بعدها.

(٢) الحسن الصباح: الحسن بن على بن محمد بن جعفر بن الحسين بن الصباح الحميرى الاسماعيلى ولد فى مرو عام ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م، قيل بأنه يمانى الأصل من حمير، وتتلمذ لأحمد بن عطاش، فصار مقدم الإسماعيلية بأصفهان، أتقن علم الهندسة والحساب والنجوم، الحسينى: زبدة التواريخ، حاشية ١، ٣ ص١٣٩، يحيى حمزة: الدولة السلجوقية، حاشية ٢، ص١٩٧.

أخذ الحسن الصباح ينتقل فى البلاد إلى أن وصل إلى مصر، ووجد الحظوة لدى الخليفة الفاطمى المستنصر بالله، ولقيت أقواله وأفعاله قبولا لدى المستنصر، فكان يزيد فى إجلاله وإكباره يوما بعد يوم، إلى أن وصل إلى مرتبة حسده عليها أمراء الخليفة وحاشيته، وفى النهاية عاد إلى خراسان داعيا الناس لاتباع مذهب الإسماعيلية وتمكن من الاستيلاء على قلعة الموت سنة ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م، واستقر بها إلى أن توفى ٥١٨هـ / ١١٢٤. خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٦٧.

(٣) الجوينى: جهانكشاى، ج٣، ص٢١٦، ٢١٧.

(٤) شاهدز: قلعة حصينة على جبل أصبهان كانت لمعقل أحمد بن عبد الملك بن عطاش مقدم الباطنية. ومعنى شاهدز: قلعة الملك. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص١٢٠.

(٥) الروانـدى: راحة الصدور، ص٢٠٦.

(٦) برنارد لويس: الحشاشون فرقة ثورية فى تاريخ الإسلام، تعريب محمد العرب موسى، ط٢، دار أزال، بيروت، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٦م، ص٩٠.

١٠٩٤م) لم يمتد به العمر طويلا، بعد أن مكن الإسماعيلية الباطنية لأنفسهم فى إيران وخراسان، إذ توفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤[١]، واقترفت الإسماعيلية إلى فرقتين الأولى:

الإسماعيلية "النزارية" ذهبت إلى أن الإمامة انتقلت إلى نزار من المتنصر بالله الفاطمى، ولكنه قتل، والفرقة الثانى هى "المستعلية" وهؤلاء ذهبوا إلى الإمامة فى "المستعلى بالله بن المستنصر بالله على الرغم من أنه لم يكن الابن الأكبر[٢].

واستطاع الحسن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية لصالحه فى خراسان، فقد أصبح نائبا عن الإمام المتور، ومن ثم وجب طاعته فى كل ما يأمر به أو ينهى عنه[٣].

ولكن ماذا فعل سلاطين السلاجقة ووزرائه إزاء هذا التقدم الباهر الذى حققه الحسن الصباح وأتباعه؟ لقد شعر السلاجقة بالخطر الكامن وراء هذا الحدث فبدءوا على الفور فى محاولات استرداد القلاع والأماكن التى استولى عليها الصباح.

ففى عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م قام السلاجقة بأولى محاولاتهم لمواجهة الخطر الإسماعيلى بالقوة العسكرية، وذلك حينما أرسل السلطان ملكشاه أحد خواصه وهو الأمير "يورنتاش" والتى كانت نواحى الموت إقطاعا له، فكان يهاجم سطح الموت المرة تلو الأخرى،- وكان يقتل ويغير على كل من قبل دعوة الحسن الصباح، وكاد النصر يكون حليفه، لولا أن الحسن الصباح قد ثبت أتباعه على الصمود ومقاساة الشدائد، وباءت محاولة القائد السلجوقى بالفشل[٤].

وفى سنة ٤٨٤هـ، ١٠٩١م، أرسل الصباح أحد دعاته المسمى حسين القاينى إلى قهستان، ليتولى الدعوة بها، فاستجاب له جماعة من؟أهلها، واستقلوا

---

(١) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرين ص ١٣١.

(٢) أبو مصعب البصرى: أضواء على الفرق والمذاهب الإسلامية، ص ٨٩، ٩.

(٣) عبد المجيد بدوى: التاريخ السياسى والفكرى، ص ١٣٢.

(٤) الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ج ٣ن ص ١٩٣، ١٩٤. برناردلويس: الحشاشون، ص ٩٢.

بإحدى نواحى أن، وعينه الصباح نائبا له فيها، وبذل كل ما فى وسعة لنشر الدعوة بقهستان، واستطاع الاستيلاء على بعض القلاع[1].

وكانت ثانى المحاولات التى قام بها السلاجقة سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، حينما أرسل السلطان ملكشاه أميرا له يدعى "أرسلان تاش" لمحاربة الحسن الصباح وأتباعه، فحاصر "أرسلا نتاش" قلعة الموت، وعلى الرغم من قلة عدد أنصار الحسن الصباح فإن "أرسلان تاش" فشل فى الاستيلاء على الموت، وكان ذلك بسبب أن جماعات أخرى من أتباع الإسلامية الاسماعيلية أرسلهم أحد دعاة الحسن ويدعى ديدار أبو على، لمناصرة المحاصرين، فقاموا بشن هجوم مفاجئ على جيش "أرسلان تاش" واستطاعوا دحر الجيش السلجوقى، وعاد بادراج الهزيمة إلى السلطان ملكشاه[2].

وكانت آخر محاولات السلاجقة فى عهد السلطان، حينما أرسل جيش آخر فى نفس العام بقيادة أمير من خواصه هو "غزل سارع" إلى قهستان لمحاربة حسين القاينى الإسماعيلى، وأمر السلطان جيوشه فى منطقة خراسان بمناصرته ومعاونته، فحاصر" الإسماعيلية فى القلعة، وقاتلهم، فوصله خبر وفاة السلطان ملكشاه، فرفع الحصار عن المركز الإسماعيلى فى قستهان[3].

وكان جيش الإسماعيلية يشتهر بالحماس والاستعداد للتضحية بالنفس من أجل حماية دعوة الإسماعيلية، وكثر بينهم الفدائيون الذين كانوا يستعينون بهم فى اغتيال أعدائهم من القواد والأمراء والسلاطين الذين يقفون عقبة فى طريق ونشر دعوتهم. وقد آثار فدائيو الإسماعيلية قلق الناس فى أرجاء الدولة السلجوقية[4] ونجح الإسماعيلية فى اغتيال رمز العداء بالنسبة لهم، وهو الوزير الذى بذل كل

---

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ج٣، ص ١٩٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ج٨، ص ٤٨١ وما بعدها.

(٣) الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ج٣ ص ١٩٦، برناردلويس: الحشاشون، ص ٩٣.

(٤) عبد النعيم حسانين: دولة السلاجق، ص ٦٣، حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ط٥، دار الفكر العربى، بدون، ص ٥٩٥.

جهده لاستئصالهم "نظام الملك"[١]، وبقتله ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م استطاعوا تكوين دولة قوية لهم عرفت بدولة الإسماعيلية فى إيران[٢].

وبوفاة السلطان ملكشاه، انفرط عقد الدولة السلجوقية وتمزقت وحدتها[٣]، وانتهى العصر السلجوقى الذى سمى بعصر "السلاجقة العظام" أو العصر الذهبى للدولة السلجوقية[٤].

توفى السلطان ملكشاه ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وله من الأولاد أربعة بنين وهم بركياروق، ومحمد، وسنجر، ومحمود، وكان محمود طفلا، وكانت أمه مستولية أيام ملكشاه فبايعوه على السلطنة، وكان بركياروق أمه سلجوقية، ولم تنقض سنة حتى توفى محمود[٥]، وتولى السلطنة بركياروق (٤٨٦ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٣ - ١١٥م) وحده وملكه اثنى عشرة سنة[٦].

ولقد زاد نفوذ الإسماعيلية فى عهد السلطان بركياروق، حينما استعان بهم فى نزاعه مع أخيه محمد على عرش السلطنة، فكثر عددهم فى جيشه وكانوا يمثلون ربع جيشه تربيا، كما استعان بهم السلطان بركياروق شكو إليه ما يلا قونه من الإسماعيلية "الباطنية" كما شكو إليه أن جنود السلطان محمد يتهمونه بالتحالف مع الباطنية، فانقلب السلطان على الباطنية، وأذن لجنوده بقتالهم[٧].

وتوجه بركياروق إلى خراسان لمحاربة عمه أرسلان أرغون، وأرسل فى المقدمة أخاه "سنجر" ثم تبعة بجيش جرار، وكان ذلك سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م، فقتل أرسلان أرغون، وتملك بركياروق خراسان[٨] وولى عليها أخيه سنجر[٩].

(١) عقيلى: آثار الوزراء، ص ٢٠٧.
(٢) محمد السعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية فى إيران، ص ٩٦: ١١٢.
(٣) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ٨٦.
(٤) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ١٥٨، محمد عبد العظيم: سلاجقة تاريخهم السياسى والعسكرى، ص ١١١.
(٥) البندارى: آل سلجوق، ص ٨١.
(٦) الروانديى: راحة الصدور، ص ٢١٤، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٣٦٢.
(٧) ابن الأثير" الكامل فى التاريخ، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١، ١٠ أجزاء، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٩، ص ٣١، ٣٢.
(٨) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٤.
(٩) الروانديى: راحة الصدور ص ٢٢١.

وفى سنة ٤٩٤هـ/ ١١١م انتشرت دعوة الباطنية، وأدخلوا الرعب فى قلوب الناس لقتلهم وتعذيبهم الرعية، حتى أن الأمراء كانوا يلبسون الدروع تحت ثيابهم[١].

وفى سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م غزا عسكر خراسان الإسماعيلية، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأخذوا منهم حصين طبس بنيسابور[٢].

وفى سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م، عظمت شوكة الإسماعيلية، وكان من جملة ما فعلوه أن قوافل الحجاج وما وراء النهر وخراسان حينما وصلت على مقربة من الرى هجم عليهم الإسماعيلية ووضعوا فيهم السيف وقتلوهم ونهبوا أموالهم ودوابهم[٣].

وبعد أن تولى السلطان محمد بن ملكشاه ٤٩٨هـ، ١١٠٥م، وجد أن قوة الإسماعيلية وصلت إلى حد الخطورة، الأمر الذى جعله يرى أن أهم عمل يقوم به هو القضاء عليهم[٤].

ففى سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، حاصر السلطان محمد قلعة شارو الباطنية بالقرب من أصفهان وأطال عليها الحصار، ونزل بعض الباطنية بالأمان وساروا إلى باقى قلاعهم وبقى صاحب القلعة أحمد بن عبد الملك بن عطاش مع جماعة يسيرة، فزحف السلطان عليه وقتله وقتل جماعة كثيرة من الإسماعيلية الباطنية وملك القلعة وخربها[٥]. ثم قام بالقبض على وزيره سعد الملك أبى المحاسن وأخ ماله وصلابه على باب أصبهان، وصلب معه أربعة من أصحابه والمنتمين إليهن بعد أن ثبت تواطئهم مع الإسماعيلية، وأسند الوزارة إلى ضياء الملك أحمد الذى يلقب بنظام الملك الثانى[٦].

---

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٥.

(٢) الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص ٤٣٤.

(٣) أبو الفدا: المختصر فى تاريخ البشر، ج٢، ص ٢٢٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ١٦.

(٤) يحى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٢.

(٥) أبو الفدا: المختصر ج٢، ص ٢٢٢.

(٦) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ١١١.

وجاء الرد سريعا من الإسماعيلية حيث قام أحد فدائى الباطنية بقتل الوزير فخر الملك بن نظام الملك فى نفس العام[١].

ومن هذا يتضح أن فخر الملك الوزير السلجوقى الكبير لكل من السلطانين بركياروق وسنجر كان ضحية من ضحايا الإسماعيلية، والمتتبع لتاريخ السلاجقة يتبين أن أباه نظام الملك زير السلطانين ألب أرسلان وملكشاه كان ضحية أيضا على أيدى الإسماعيلية[٢].

وفى سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٨م السلطان محمد القضاء على الحسن بن الصباح، فأرسل جيشا بقيادة وزيره ضياء الملك بن نظام الملك ومعه الأمير جاولى إلى قلعة الموت، فهزموا الباطنية، وقتلوا منهم خلقا كثيرا[٣]، ونتيجة لذلك اشتد غضب الإسماعيلية، فثاروا وتملكوا أحدى القلاع سنة ٥٠٤هـ/ ١١٩م، فثار أهل المدينة ووقع بينهم القتال، فانهزم الإسماعيلية، وقتلوا ولم يسلم منهم أحدا[٤].

نشطت الإسماعيلية من جديد، وبدأت فى تدبير مؤامرات القتل فقاموا فى سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٩م بقتل قاضى أصبهان، وقاضى نيسابور، كما قاموا بقتل شيخ الشافعية أبو المحاسن الروياني[٥].

وفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢م أرسل السلطان محمد الأمير أنوشتكين شيركير صاحب أباه وساوه على رأس جيش جرار إلى قلعة الموت للقضاء على الإسماعيلية فحاصرها مدة حصارا شديدا وضيق عليهم الخناق، وعندما أوشك الجيش السلجوقى أن يستولى على القلعة، وصل الخبر بوفاة السلطان محمد ٥١١هـ/ ١١١٨م، فى أصفهان، فتفرقت الجيوش، واضطر أنوشتكين إلى فك الحصار عنهم بعد أن كاد يستولى عليها[٦].

---

(١) خوادمير: دستور الوزراء، ص ٢٧٥.

(٢) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢٠٤.

(٣) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٧٠.

(٤) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص ٢٢٤,

(٥) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص٧.

(٦) الروانداى: راحة الصدور، ص ٢٤٧، carl . brockel Mann: History. Of the Islamic peoples. London, p . 180

وفى سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٥م توفى الحسن الصباح، وكان قد عين مكانه رجلا يدعى بزرك أميد[١].

بوفاة السلطان محمد عاد الصراع على عرش السلطنة بين أفراد البيت السلجوقى، الأمر الذى هيأ للإسماعيلية مواصلة نشاطهم ونشر دعوتهم واستعادة قوتهم مما جعل فتنتهم تظهر من جديد بين حين وآخر، ولقد تصدى لهم السلطان سنجر، وعمل على القضاء على دعوتهم[٢].

ولقد استمر الإسماعيلية فى سياستهم الاغتيالية حيث قاموا سنة ٥١٩هـ، ١١٢٦م باغتيال القاضى أبو سعيد بن نصر بن منصور الهروى، حيث قتله الفداوية بهمذان، كما قاموا بقتل أق سنقر صاحب حلب فى مقصورة جامعها يوم الجمعة[٣].

بدأ السلطان سنجر يشدد فى هجماته على الإسماعيلية فى ألموت، فوج إليهم حملات متعددة للقضاء عليهم فى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وعادت جيوش بعد أن غنموا من أموالهم الكثير[٤].

ولقد بذل سلاطين السلاجقة جهدا مشكورا فى درء الخطر الإسماعيلى، وفكر السلطان سنجر مهادنتهم وعقد صلحا معهم بعد أن خشى بأهم عندما استطاع أحد أفرادهم أن يضع خنجرا بجوار السلطان ورقة مكتوبة "إن الذى وضع الخنجر هنا قادر على وضعه فى رأسك "فأرسل السلطان وفدا للصلح برئاسة الوزير أبى نصر بن المفضل بعد أن تعرضت أكثر مدن خراسان للتخريب[٥].

ولقد قامت الإسماعيلية بتوسيع نشاطهم وتجديده مرة أخرى من قتل ونهب

---

(١) الجوينى: تاريخ جهانكشاى، ج٣، ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) يحيى الوزنه: الدولة السلجوقيةن ص ٢٠٦.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١٠.

(٤) محمد محمود إدريس: السلطان السلجوقى، ص ٨٢، ٨٣.

(٥) إبراهيم على البهى على: التطورات الحضارية فى خراسان فى العصر السلجوقى الثانى(٤٨٥ - ٥٩٠هـ/ ١٠٩٢ - ١١٩٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، كلية الآداب، فرع بنها، بدون ص ٢٦٢.

وسلب، واعتبر السلطان سنجر أن ذلك نقضا للصلح والهدنة التى عقدت بينه وبين الإسماعيلية من قبل. لذا أخذ العدة للهجوم عليهم[١].

وفى سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م قتل معين الدين أبو نصر بن احمد القاشنى وزير السلطان سنجر على يد اثنتين من الفدائيين الإسماعيلية[٢] سنجر جرارا تجاه الموت، ودارت بين السلطان والإسماعيلية بها حربا قوية قتل السلطان فيها ما يقارب اثنى عشر ألفا منهم[٣].

وفى سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م توجه الأمير بزغش على رأس جيش وحاصر قلعة كردكوه بخراسان، وطال الحصار مدة كبيرة أنه رحل عنها فى نهاية الأمر، ويقال أن سبب رحيله هو وصول المال والمؤن إلى المحاصرين من الإسماعيلية[٤].

ولم يتأخر رد الإسماعيلية على هذه الحملة طويلا، ففى سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م، هجمت جماعة من الإسماعيلية على الخليفة العباسى فى خيمته فقتلوه معه جماعة من أصحابه، ثم حيط بالقتلة الإسماعيلية، وتم قتلهم[٥] كما قام الإسماعيلية فى نفس العام بقتل صاحب دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بورى بن طغتكين[٦].

وفى سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤١م قتل الإسماعيلية جوهر خادم سنجر وهو من أكبر أمراء السلطان سنجر وهو من أكبر أمراء السلطان سنجر، مما أدى إلى غضب الأمير عباس، وكان من مماليك جوهر، فملك الجيش لقتال الإسماعيلية، وقتل منهم ما يزيد على مائة ألف، وظل يقاتلهم حتى توفى، فقام بالأمر بعده ولده فقام وحرق رئيس الإسماعيلية يدعى "إبراهيم السهولى[٧].

---

(١) يحيى الوزنه: الدول السلجوقية، ص ٢٠٧.

(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٢، برنارد لويس: الحشاشون، ص ١٢٥.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١، ص ٥.

(٤) يحيى الوزنة: الدولة السلجوقى، ص ٢٠٩

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥١١.

(٦) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص٣٢.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ٩٥، البندارى: آل سلجوق، ص ١٧٦، ١٧٧. الحسينى " زبدة التواريخ، ص ٢١٨.

وقد قامت الإسماعيلية "الباطنية" بتوسيع نشاطهم بعد هزيمة السلطان سنجر على يد الغز سنة ٥٤٨هـ ١١٥٤م، واستيلاءهم على عسكره، ونهبوا نيسابور، وملكوا بلخ[١].

وفى سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٥ م اجتمع كثير من الإسماعيلية بلغ عددهم سبعة ألاف رجل، وتوجهوا نحو خراسان يريدونها نظرا لانشغال سنجر وعسكره بالحرب مع الغز فالتقاهم، جماعة من الأمراء، واشتبكوا مع الإسماعيلية فى عدة معارك وأكثروا فيهم القتل، وانهزم الإسماعيلية أمامهم شر هزيمة وراحوا تحت السيف، ونجا منهم القليل[٢].

وفى سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٧م هاجمت الإسماعيلية طبس بخراسان، فأوقعوا بها وقعة عظيمة، وقتوا وأسروا جماعة من أعيان السلطان سنجر، ونهبوا أموالهم ودوابهم وعادوا إلى ديارهم[٣].

وفى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٨م، خرجت الإسماعيلية على حجاج خراسان فقتلوا وسبوا ونهبوا، وكان لهذا الاعتداء على الحجاج أثره السيئ الكبير فى نفوس كثير من أمراء المسلمين الذين تصدوا للإسماعيلية[٤].

ففى نفس العام توفى السلطان سنجر بن ملكشاه وخلفه على خراسان محمود خان ابن أخته فأقام خانقا من الغز[٥] حتى توفى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[٦].

وفى سنة ٥٥٣هـ/ ١١١٥٩م، خرجت جماعة من الإسماعيلية بلغ عددهم ألفان، وتوجهوا إلى خراسان، ونزلوا على التركمان، فسبوا الحريم وقتلوا

(١) أبو الفدا: المختصر، ج٣ن ص ٢٦، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ٥٢.
(٢) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ٥٤، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١٠.
(٣) محمد محمود إدريس: السلطان سنجر السلجوقى، ص ٨٣، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١٠.
(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص١٦١، يحيى الوزنه: الدولة السلجوقية، ص ٢١١.
(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤١٦، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ٥٨.
(٦) فامرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٩، ١٥٠. بارتولد: تركستان، ص ٤٨٥، ٤٨٦.

الرجال، ورجعوا بالغنائم، فـأسرع عسكر التركمان، فأحاطوا بهم وهم يـقتسمون الغنيمة، فوضعوا فيهم السيف فلم ينج منهم سوى تسعة[1].

هذا وقد تكررت الاعتـداءات من قبل جماعة الإسماعـيلية على قوافل الحج الخراسـانية، ودارت بينهم معـارك متفرقـة قتل فيهـا خلقا كثـيرا وعدد كبـيرا من الأمراء، والأئمة والعلماء والزهاد، حتى صار فى كل بيت بخراسان مأتم، وطاف شيخ يدعوا الخراسانيين لقتال الإسماعـيلية، والتصدى لهم، فانسحبوا بعد أن قتل منهم الكثير، وقاموا ببناء قلعـة جديدة سنة ٥٦٠/ ١١٦٤م، قرب قزوين خوفا من غضب وبطش الخراسانيين[2].

على الرغم من هذا الصراع السياسى والـفكرى بين الفرق والمذاهب المختلفة كالصـراع السنى السنى أو الصراع السنـى الشيعى، فـقد حدث احـتكاك بين هذه الفرق، كـما حدث احتكاك آخـر بين الفقهـاء والعلماء هذه الاحتكاكات سـببت نشاطا عجيبا فى الحركة الـفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، إذ كان كل فـريق يرى أن يتسلح بالـعلم أمام الخـصوم بكل الوسـائل ليـتغلب عليـهم، وسيظهـر هذا النشاط الفكرى والعلمى واضـحا عند دراسة العـلمى والأدبى لهذه الفرق.

(١) الذهبى: دول الإسلام، ص ٥٨.

(٢) البندارى: آل سلجوق، ص ٦٨، ٦٩. الراوندى: راحة الصدور، ص ٤١٤، ٤١٥

رابعا: الرحلات العلمية

كان للرحلات العلمية آثارها العظيمة فى إثراء الحركة الفكرية والعلمية فى بلدان المشرق الإسلامى فى العصر السلجوقى، وأصبحت عواصم خراسان وبلدان المشرق الإسلامى مفتوحة أمام العلماء، فأثرت هذه الرحلات الحركة الفكرية، وكانت الرحلات العلمية من أهم العوامل التى ساعدت على تطور وازدهار الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، وقد رحل العلماء من خراسان إما لإلقاء العلم أو تلقيه، وهناك من رحلوا إلى خراسان من أجل العلم أيضا.

والرحلات العلمية تعتبر من أهم مميزات جهود المسلمين فى هذا المجال، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال دراسة تراجم الآلاف من العلماء فى هذا العصر، فقد رحل العلماء إلى مناطق نائية سعيا وراء العلم والمعرفة غير مبالين بما يتعرضهم من مشقة وعناء، وجهد ونفقة، بجانب متاعب السفر وصعوبته ومخاطره فى ذلك الوقت وما يتطلبه من استعدادات وتجهيز القوت، ويبدو أن الطلبة كانوا يعتمدون على أنفسهم أثناء رحلاتهم العلمية إلى الأقطار البعيدة وعبر قوافل الحج والتجارة[١].

وكان طلاب العلم يجوبون البلاد سعيًا إلى موارد العلم والمعرفة، مما يسر للدارسين الأخذ بحظ وافر من العلوم المختلفة، مما أثر تقدمًا علميًا ملموسًا فى سائر العلوم المعروفة فى ذلك العصر[٢]، لقد كان طلاب العلم يرحلون فى طلب الحديث مسافات شاسعة[٣]، كما كان الشعراء والأدباء الذين كانوا يرغبون فى الحصول على أكبر قسط من الفصاحة العربية، كانوا يذهبون إلى البادية طلبًا للبيان والبلاغة[٤].

---

(١) مريزى عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص ٢٤٤.

(٢) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٨٢.

(٣) ساجد الرحمن الصديقى، عارف كرخى أبو خضيرى: نشأة علوم الحديث وتطورها، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٥.

(٤) على حسنى الخربوطلى: الحضارة العربية والإسلامية، نشر مكتبة الخانجى، القاهرة، بدون، ص ٢٣٠.

كانت الرحلات العلمية، قد أدت إلى اتصال العلماء بعضهم ببعض، وتبادل المعرفة بينهم، واستفاد كل عالم من زملائه، كما أدى تبادل الكتب والزيارات والمناقشات إلى النهوض بالحركة الفكرية وازدهارها، كما أن رحلة الطلاب بين المدن الإسلامية لطلب العلم، أتاح لهم الاستفادة من العلماء ومجالس المناظرة التى عقدها أمراء سلاطين السلاجقة فى قصورهم أو المناظرة فى المساجد والمنازل والدكاكين وغيرها من مؤسسات العلم، كل ذلك أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى(١).

ولم تمنع الاضطرابات السياسية فى بلاد المشرق الإسلامى، هذه الرحلات العلمية، بل ساعدت عليها(٢).

وكانت هذه الرحلات العلمية بجانب تشجيع السلاطين والوزراء لحركة العلم والعلماء بالإضافة إلى الصراعات المذهبية والفكرية، كل ذلك أدى إلى تطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى ذلك العصر.

الرحلات العلمية من إقليم خراسان:

انتشر علماء وطلاب خراسان فى بلاد المشرق الإسلامى فى ذلك العصر فممن رحلوا خارج خراسان:

- أبو الحسن الجوينى عم إمام الحرمين رحل إلى الحجاز وسمع الكثير، وحدث وغلب عليه التصوف، وكان يعرف بشيخ الحجاز ت ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م(٣).
- أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن المرزوى، كان إمام فاضل، سمع بنيسابور من الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى، ت ٤١٢هـ/ ١٠٢٠م، ورحل إلى بغداد وحدث بها، وكتب عنه الخطيب البغدادى

(١) عصام الدين عبد الرؤوف: الدول المستقلة فى المشرق الإسلامى، ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) إبراهيم على البهى على: الحركة الثقافية فى بلاد المشرق عصرى السامانيين والبويهين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة ألمانيا، كلية الآداب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٩٨.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٦٢.

ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٠م، ثم رجع إلى مرو الروذ وتوفى بها سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[١].

- الشيخ الإمام الثقة المقرئ المحدث أبى الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن السرى النيسابورى، ثم المصرى التاجر، نزيل مصر، وحدث عنه جماعة، وكان بمصر من مشاهير الرواة، ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م[٢].
- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد، الأستاذ الإمام شيخ الإسلام، أبو عثمان الصابونى الخطيب، المفسر المحدث الواعظ، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعًا وحفظًا، سمع الحديث بنيسابور وهراة، والشام، والحجاز، وبلاد الجبال، وغيرها من البلاد، وحدث بخراسان، وبلاد الهند، وجرجان، والشام، وبيت المقدس، واستفاد الطلاب والعلماء بعلمه، ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م[٣].
- أبو الحسن الزوزنى على بن محمود بن إبراهيم الصوفى، رحل إلى بغداد وروى عن أبى عبد الرحمن السلمى، وصار شيخ الصوفية، وجلس فى الرباط المنسوب إليه «رباط الزوزنى» المقابل لجامع المنصور ببغداد، وكان يقول: صحبت ألف شيخ، أحفظ عن كل شيخ حكاية، وتوفى سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م ودفن بالرباط[٤].
- زهير بن على بن الحسن بن خزام السرخسى، رحل إلى بغداد، وتفقه على أبى حسان الأسفراينى، وبرع فى الفقه، وسمع بالبصرة سنن أبى داوود على القاضى أبى عمر، وحدث بالكثير، وكان يرجع إليه فى

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٨٢.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٤٥.

(٣) ياقوت الحموى: أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، معجم الأدباء، ٦ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ج٢، ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢١٤، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر،ج٢، ص ١٨٠.

الفتاوى وحل المشكلات[1]. وعاد إلى خراسان، وأصبح مفتى الشافعية بخراسان، ورجع إلى بلده سرخس وأصبح مدرسا بها وتوفى سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[2].

- أبو بكر البيهقى، أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله بن موسى، سمع علماء خراسان، رحل إلى العراق والجبال والحجاز، وجمع علم الحديث والفقه والأصول، وجمع نصوص الشافعى فى عشر مجلدات، ثم أعاد وأصبح عالم خراسان، ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م[3].
- أبو جعفر الطوسى، محمد بن الحسن بن على، شيخ الشيعة، وله تفسير كبير فى عشرين مجلد، رحل إلى بغداد وتفنن وتفقه للشافعى، ثم تحول إلى الشيعة الرافضة ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م[4].
- عمر بن أحمد بم يوسف المرزوى، الشيخ الإمام أبو طاهر، رحل إلى بغداد وتفقه على الشيخ أبى حامد الأسفراينى، وسمع الحديث بالبصرة، وأصبح له معرفة بالتواريخ وأيام الناس، كما كان إمامًا فاضلا فقيها بارعا، غلب عليه علم الأصول والكلام حتى عرف به، وتوفى بمرو سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م[5].
- المحدث أبو منصور بكر بن محمد بن على بن حيدر النيسابورى، التاجر، وكان ثقة حدث بخراسان، ورحل إلى العراق وحدث بها وبهمذان وتوفى ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م[6].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٩٢.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج١٢، ص ٢٩٢.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢٤٢، الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص ٣٩٣.

(٤) الأدنهوى: أحمد بن محمد من علماء القرن الحادى عشر، طبقات المسرين، تحقيق سليمان ابن صالح الخزى، ط١، مكتبة العلوم والحكم، المدينة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، ج٥، ص ٣٠١.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣١٨.

- وممن رحلوا لأسباب سياسية ومذهبية الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى[1]، ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، فرحل إلى الحج فى صحبة فيها أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وأبو بكر البيهقى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، فسمع معهما الحديث ببغداد والحجاز، ورجع إلى خراسان وتوفى بنيسابور[2].
- ومن شعراء وأدباء خراسان الذين رحلوا وكانت له صلات وثيقة بعلماء عصره أبو الحسن على بن الحسن بن أبى الطيب الباخرزى ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وقد رحل الباخرزى وتنقل فى معظم بلاد فارس والعراق، وأصبح من أدباء العصر المشهورين[3].
- ومن العلماء الذين رحلوا فى صباهم، الشيخ العالم المحدث أبو نصر عبد الرحمن بن على بن محمد بن موسى النيسابورى المزكى التاجر، طاف خراسان، ورحل إلى العراق، وسمع طائفة منهم وروى الكثير، وروى عنه أهل خراسان ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م[4].
- ومن رجال الحديث الذين رحلوا لسماع الحديث، أحمد بن عبد الملك بن على بن أحمد أبو صالح المؤذن النيسابورى، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين[5]. ورحل إلى أصبهان وبغداد ودمشق سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م[6]، كتب وجمع الكثير، وصنف كتب على ألف شيخ، وكان يعظ ويؤذن إلى أن توفى ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م[7].

---

(١) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص ١٩٠، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج١، ص ٣٦٥.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢٤٢.

(٣) الباخرزى: دمية القصر وعصره أهل العصر، ج١، ص٩، ياقوت: معجم الأدباء، ج٤، ص ١٧، ١٨.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٩٢.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٣١٤.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٣٥.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٢٧.

- ومن الرحالة فى طلب العلم الحسن بن على البلخى الحافظ الثقة المكثر الكبير، رحل وطاف فى البلاد، وروى الحديث بالشام والعراق ومصر وخراسان وكان من الثقات ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م[١].
- ومن فقهاء خراسان الرحالة عبد الرحمن بن محمد بن ثابت الخرقى تفقه بمرو ثم رحل إلى بخارا ثم بغداد وتفقه على الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، وسمع الحديث ورواه، ثم حج وجاور بمكة ثم رجع إلى خراسان وسكن قريته إلى أن توفى ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م[٢].
- عبد الله بن عطاء بن عبد الله من أهل هراة، رحل فى طلب الحديث، وعنى بجمعه، سمع بهراة من أبى إسماعيل الأنصارى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وغيره ورحل خارج خراسان، وسمع بأصبهان وبغداد، وكان حافظًا متقنًا يعتنى بأسماء رواة الحديث والمتون، ويركب الأسانيد على المتون، ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م[٣].
- الحافظ الفقيه الرحال مسعود بن ناصر بن أبى زيد عبد الله بن أحمد، أبو سعيد السجزى، رحل فى طلب الحديث وسمع ببغداد وأصبهان وغيرها، ومن شيوخه الخطيب البغدادى، ثم أعاده الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م للاستفادة منه، وروى عنه أهل خراسان ت ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م[٤].
- أبو سعيد المتولى عبد الرحمن بن المأمون النيسابورى، كان فصيحًا بليغًا، ماهر بعلوم كثيرة، ودخل بغداد، فسلم إليه التدريس بنظامية بغداد، وتوفى ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[٥].

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٣٩.
(٢) ابن العماد الحنبلى: نفسه، ص ٣٤٩.
(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٩.
(٤) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٢١٦، ١٢١٧.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص١٣٧، ١٣٨.

- إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف أبو المعالى الجوينى، تفقه فى صباه على والده، وجلس مكانه للتدريس وهو دون العشرين، ورحل فى طلب الحديث، فسمع الحديث الكثير ببغداد، وخرج إلى الحجاز فأقام بمكة أربعة سنين، وعاد إلى خراسان وجلس للتدريس بنيسابور ثلاثين عامًا، ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[١].

- ومن فقهاء خراسان الذين تولى القضاء خارج خراسان القاضى أبو المظفر عبد الجليل بن عبد الجبار عبد الله بن طلحة المرزوى، نزيل دمشق، تولى بها القضاء مدة سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، وكان عفيفًا نزيهًا مهيبًا توفى سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م[٢].

- ومن أدباء وشعراء خراسان الرحالة الأديب أبو منصور عبد الله بن سعيد ابن مهدى الخوافى النيسابورى، وكان أديبا، شاعرا، وكان من أوفى الناس مروءة وأسمعهم نفسًا، دخل بغداد فى عهد الوزير عميد الملك الكندرى ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، واستوطنها وكان كثير الرواية، وأكثر رواياته كتب الأدب، وكان قد جمع كتب من كل فن، كما كان حسن الشعر ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م[٣].

- ومن علماء علوم القرآن الرحالة فى طلب علم القرآن، أبو نصر المرزوى، محمد بن أحمد بن على بن حامد الكركانجى، من أهل مرو وخراسان، وكان إماما فاضلا فى علوم القرآن، طاف البلاد وسافر على المشايخ إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره فى فنه، وقرأ القرآن على جماعة كثيرة[٤]. وأصبح شيخ القراء بخراسان، وسكن خوارزم مدة لينتفع

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ١٨، ١٩، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص١٩٦، ١٩٧.

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص١٠٠.

(٣) الأنبارى: أبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت ٥٥٧هـ/ ١١٧٩م، تحقيق د إبراهيم السامرانى، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٦٢.

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٥، ص١٥٧، ١٥٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٧٣.

الناس بعلمه، وانتهت إليه الإمامة فى القراءات، ت ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[١].

- ومن فقهاء الحنفية الذين تولوا القضاء خارج خراسان، قاضى القضاة أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين الناصحى النيسابورى كان فقيها مناظرًا متكلمًا يميل إلى الاعتزال، فصرف عن قضاء نيسابور، وتولى قضاة الرى وسمع الحديث وحدث ببغداد وخراسان، وتوفى بقرب أصبهان سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[٢].

- ومن علماء خراسان التجار الرحالة أبو الفتوح نصر النيسابورى نزيل سمرقند وله ثمانون سنة، روى صحيح مسلم، وسمع الحديث بمصر، ودخل الأندلس للتجارة فحدث بها وكان ثقة، ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م[٣].

- ومن علماء خراسان الذين تولوا خزائن كتب المدارس النظامية خارج خراسان أبو يوسف يعقوب بن سليمان بن داوود الإسفراينى، رحل إلى بغداد وتولى خزانة كتب المدرسة النظامية بها، وكان حسن الخط، وكان محدثًا وفقيهًا فاضلا، حسن المعرفة بأصول المذهب الشافعى الأشعرى، ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[٤].

ومن علماء خراسان الذين رحلوا خارج خراسان أيضًا:

- العلامة أبو المظفر السمعانى منصور بن محمد التميمى المرزوى الحنفى ثم الشافعى، تفقه على والده وغيره، وكان إمام وقته فى مذهب أبى حنيفة، فلما حج ظهر له بالحجاز ما اقتضى انتقاله إلى مذهب الشافعى، ولما عاد إلى خراسان «مرو»، لقى أذى عظيم من أهلها بسبب انتقاله،

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٣١، ٤٣٢.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٦٠، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٣٧.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٧٩.

(٤) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص ٣٥٩.

فمـا كان منه إلا أن صنف كـتبًا كـثيـرة فى مذهب الشافـعى للرد على المخالفين، ت سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[١].

- ومن رجال الحديث والفقه الذين رحلوا خـارج خراسان، محمد بن على ابن عمير الهروى، رحل من هـراة إلى الحجاز وخرج إلى عدن، ووصل إلى مكة، وسمع بها ثم رحل إلى بغداد وسـمع بها وبغيرها من البلاد، وكان فقيهًا فاضلاً، حدث بالكثير ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م[٢].
- وممن رحل فى طلب القـراءات والحديث مـحمـد بن أحمـد بن محـمد الرامـشى النيـسـابورى، سافـر الكثيـر ورحل فى طلب علوم القـرآن والحديث، وكان مبرزًا فى علوم القرآن، وله حظ فى علم العربية، وعاد إلى خراسان وأملى نيسابور وتوفى سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م[٣].
- الشيخ الإمـام المحدث الرحال، أبو الفـرج، سهل بن بشر بن أحـمد بن سعـيد الإسـفراينى، الصـوفى، رحل إلى دمشق، وسـمع الحديث بـها وحـدث عـنه ولداه طاهر والفـضل، وطائفـة أخـرى، ت ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م[٤].
- ومن علماء خـراسان الكبار، الذين رحلوا إلى البـلاد الإسلاميـة، لنشر العلم والمعرفة، الـعالم حجة الإسلام مـحمد بن محمـد بن أحمد، أبو حامـد الغزالى الطوسى الشـافعى، تفقـه على إمام الحـرمين، وبرع فى علوم كثيـرة وله مصنفات منتشرة فى فنون متـعددة، ورحل إلى العراق، وقام بـالتدريس فى نظامـية بغـداد سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، فرحل إلـيه رؤوس العلمـاء[٥]، ونقلوا كـلامه فـى مصنفـاتهم، ثم ترك التـدريس

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ج١٢، ص ١٦٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٩٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم: ج٩، ص ١٠١.

(٣) ابن الجوزى: نفسه، ص ١٠٢.

(٤) الذهبى: تهـذيب سيـر أعلام النـبلاء، ج٢، ص ٤٦١، ابن العـماد الحنبلى، شـذرات الذهب، ج٣، ص ٤٠٦.

(٥) ابن كـثير: الـبداية والنهـاية، ج١٢، ص ١٨٧، مأمـون غريب: حـجة الإسـلام الإمام الغزالى، ط١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٦.

والرياسة وقصد طريق الزهد والتصوف، وكان لا يأكل إلا من أجرة النسخ، ورحل إلى مكة وحج، ثم عاد ورحل إلى الشام، وأقام ببيت المقدس، وأخذ فى تصنيف كتاب إحياء علوم الدين فى القدس، ثم أتمه فى دمشق إلا أنه وضعه على مذهب الصوفية[١]، واجتمع عليه العلماء فى دمشق فى المدرسة الغزالية، وممن حضر مجلس الغزالى فى المدرسة الفقيه الشافعى جمال الإسلام أبو الحسن الدمشقى، الذى أصبح مفتى الشام ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٧م[٢]، ثم انتقل إلى مصر، وأقام بالإسكندرية، ثم عاد إلى خراسان، ودرس بنظامية نيسابور[٣]، ثم عاد إلى وطنه طوس، وصنف الكتب المفيدة المشهورة منها البسيط والوسيط، والوجيز، والمنحول والمنتحل فى علم الجدل وغير ذلك[٤]، وبنى بجوار منزله، مدرسة للفقهاء، ورباطًا للصوفية، وتشاغل بحفظ القرآن ومع الصحاح، وتوفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م[٥].

- أبو على إسماعيل بن أحمد بن الحسن الخسروجردى البيهقى، شيخ القضاة، تفقه على أبيه، وتخرج به فى الحديث، وسافر بلاد كثيرة، ودخل ما وراء النهر، وسكن خوارزم مدة، وولى الخطابة وتدريس الشافعية، وتولى القضاء هناك، ثم سافر إلى بلخ، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى وطنه بيهق، وتوفى بها سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م[٦].
- أبى بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار بن المظفر السمعانى، سمع الحديث من أبيه وجماعة، ثم رحل فى طلب الحديث، فسمع بنيسابور والرى وهمذان، وبغداد الكوفة ومكة، وروى الحديث، ثم ورد بغداد،

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ١٦٨، ١٦٩.
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٠٢.
(٣) الأدنة وى: طبقات المفسرين ص ١٥٢.
(٤) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٢، ص ٢٥٥.
(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ١٧٠، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ٢٠٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ١٨٧، ١٨٨.
(٦) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٤٤.

ووعظ فى المدرسة النظامية، وخرج إلى أصبهان فسمع بها، وعاد إلى مرو، وكان عالمًا بالحديث والفقه والأدب والوعظ، توفى بمرو سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[١].

- ومن علماء خراسان الذين رحلوا للتجارة والحديث أبو العلاء عبيد بن محمد بن عبيد القشيرى التاجر النيسابورى من نيسابور، راوى الحديث، رحل إلى المغرب للتجارة، وحدث بها، واستفاد الناس بعلمه، ت ٥١٢هـ/ ١١١٨م[٢].

- ومن فقهاء خراسان ومحدثيها محمد بن حاتم بن محمد بن عبد الرحمن الطائى، أبو الحسن من أهل طوس بخراسان، تفقه على إمام الحرمين بنيسابور، ورحل إلى العراق والشام والحجاز، والثغور، وسمع بها الحديث، ثم رجع إلى نيسابور، وروى عنه أبو بكر السمعانى، وأجاز لابنه أبى سعد السمعانى، وسكن نيسابور ينشر العلم بها إلى أن توفى ٥١٢هـ/ ١١١٨م[٣].

- ومن فقهاء وأدباء خراسان الرحالة أبو نصر عبد الرحيم بن أبى القاسم بن هوازن القشيرى النيسابورى، اعتنى به والده وأسمعه، وأقرأه حتى برع فى العربية والنظم والنثر والتأويل، لازم إمام الحرمين، وحصل طريقة المذهب والخلاف، وخرج حاجًا، ثم رحل إلى بغداد، وعقد بها مجلس العلم، ورأى أهل بغداد فضله وعلمه، وحضر مجلسه الخواص، وانتفع الناس بعلمه، فحدث عنه خطيب الموصل أبو الفضل الطوسى، وأجاز لأبى سعد السمعانى، وتوفى ٥١٤هـ/ ١١٢٠م[٤].

- ومن الوعاظ الرحالة أبى الفتوح الخراسانى، سمع بأصبهان ومكة، وحج خمس حجات وجاور بمكة سنين، وكان واعظًا متصوفًا، ورحل إلى

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ١٨٨.
(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ٣٥.
(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج٦، ص ٩٦.
(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٠٣.

بغداد ووعظ بها، ونفق على المتصوف، ثم رجع إلى أصبهان وتوفى بها سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤[١].

- ومن الفقهاء الوعاظ أبو الفتوح أحمد بن محمد بن محمد أخو الغزالى، الفقيه، غلب عليه الوعظ، فطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه، ورحل إلى بغداد وقام بالتدريس بنظاميتها نيابة عن أخيه، واختصر «إحياء علوم الدين» وسماه «لباب الحياة» وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة، ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م[٢].

- ومن رجال الحديث أبو العلا صاعد بن سيار الاستشاقى الهروى رحل إلى بغداد، وأفاد الناس بعلمه، وكان حافظًا متقنًا كتب الكثير وجمع الأبواب وعرف رجال الحديث من رحلاته، وتوفى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م[٣].

- ومن فقهاء خراسان الرحالة والمقربين من السلاطين والوزراء، أسعد بن أبى نصر الميهنى المرزوى، تفقه على أبى المظفر السمعانى وغيره، وبرع فى الفقه، ورحل إلى بغداد، فقربه إليه الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وفوض إليه التدريس بنظامية بغداد، وأفاد الناس بعلمه، ثم رحل إلى همذان، وأفاد طلبه العلم بها، إلى أن توفى ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م[٤].

- ومن أئمة الشافعية الذين رحلوا فى طلب الحديث محمد بن أحمد بن أبى الفضل الماهيانى من قرى مرو بخراسان - تفقه على إمام الحرمين بنيسابور، وسمع بها الحديث، ورحل إلى بغداد، وتفقه على أبى سعد

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم: ج٩، ص ٢٥٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١١، ٢١٢، ابن الوردى: تاريخ، ج٢، ص ٣٢، ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص ٦٠، ٦١.

(٣) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ٢٧٠، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ٦١.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢١٦.

المتولى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، وقام بالتدريس بالمدرسة النظامية ببغداد، ورجع إلى موطنه وأفاد الناس بعلمه، وتوفى سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م، ودفن بقريته ماهيان[١].

- ومن محدثى خراسان المحدث الحافظ صاعد بن سيار بن محمد بن عبد الله الفراوى، رحل إلى بغداد وحدث بها عن شيخ الإسلام أبى إسماعيل وغيره، ت ٤٢٦هـ/ ١١٣٢م[٢].
- ومن فقهاء خراسان ومحدثيها الذين رحلوا لنشر العلم وسماع الحديث، عبد الله الفراوى محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدى النيسابورى، راوى صحيح مسلم ومسند خراسان، كان شافعيًا فقيهًا مناظرًا، صحب إمام الحرمين مدة، وأصبح فقيه الحرم لأنه أقام بالحرمين مدة طويلة ينشر العلم ويسمع الحديث، ويعظ الناس، وسمع من خلق كثير، وأملى أكثر من ألف حديث فى المساجد، ت ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م[٣].
- ومن فقهاء خراسان الذين رحلوا لنشر العلم أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن على عبد الصمد النيسابورى، كان من أئمة الفقهاء الشافعية، تفقه على إمام الحرمين، وأبى المظفر السمعانى، رحل إلى البلاد حتى استقر بكرمان[٤]، ينشر بها العلم، وكان معظمًا عند سلطانها، محترمًا بين الطلاب والعلماء، معظمًا بين أهلها، فاستوطنها حتى توفى بها سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م[٥].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ٢٣.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٣١.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ٩٦.

(٤) كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وأهلها خيار أهل السنة وجماعة وصلاح فى الدين، وكانت فى العصر السلجوقى من أعمر البلاد. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٧، ص ١٣٢، ١٣٣.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٤٤، ٤٥.

- ومن محدثى خراسان الرحالة زاهر بن طاهر بن أبى عبد الرحمن بن أبى بكر الشحامى النيسابورى، رحل فى طلب الحديث، وكان مكثرًا، صحيح السماع، وكان يستملى على شيوخ نيسابور، ورحل وأفاد الناس بعلمه، فسمع منه الكثير بأصبهان والرى وهمذان والحجاز وبغداد، وسمع من ابن الجوزى ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، وأجاز له، ثم رجع إلى خراسان، وأملى الحديث بجامع نيسابور، وبقى فيها ينشر العلم إلى أن توفى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م[١].

- ومن المتكلمين الوعاظ الذين رحلوا خارج خراسان للوعظ، أبو الفتوح محمد بن الفضل الإسفراينى، رحل إلى بغداد ووعظ بها، وتقبل وعظه علماء وطلاب بغداد الشافعية، وكان يتكلم بمذهب الأشعرى، فثارت الحنابلة، فأمر الخليفة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ/ ١١٨-١١٣٤م) بإخراجه عن بغداد، فلما ولى الخليفة المقتفى لأمر الله (٥٣٢- ٥٥٥هـ/ ١١٣٧ - ١١٦٠م)، رجع إلى بغداد، فثارت الفتنة بين الشافعية والحنابلة، فأخرجوه عن بغداد، وتوفى سنة (٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)[٢].

- ومن فقهاء الشيعة الرحالة، أبو الحسن محمد بن الحسن أبو على بن أبى جعفر الطوسى شيخ الشيعة وعالمهم، رحل إلى العراق، ورحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب وحملوا إليه، وتوفى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م[٣].

- ومن محدثى خراسان الرحالة، وجيه بن طاهر بن محمد بن محمد أبو بكر الشحامى، من أهل نيسابور، من بيت الحديث، وكان يعرف طرفًا من الحديث، فرحل لطلب الحديث، فسمع بهراة وبغداد، وأجاز لأبى الفرج بن الجوزى ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، وأفاد الناس بعلمه، ت ٥٤١هـ/ ١١٤٧م[٤].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ٧٩، ٨٠. الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ٣٦.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٢٤، الذهبى: دواة الإسلام، ج٢، ص ٤٢.

- أبو المفاخر النيسابورى الحسن بن ذى النون بن أبى القاسم بن أبى الحسن، رحل إلى بغداد، فوعظ بها، وكان ينال من الأشاعرة، فأحبته الحنابلة، ثم اختبروه، فإذا هو معتزلى، وجرت بسببه فتنة بغداد، وتوفى ٥٤٥هـ/ ١١٥١م[١].

- ومن أصحاب بيوت العلم والحديث الرحالة محمد بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك بن أبى سعد بن أبى صالح المؤذن النيسابورى، ولد نيسابور، وهو من بيت العلم والحديث رحل مع والده المتوفى سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م إلى كرمان، وقد أرسله سلطان كرمان، إلى بغداد رسولاً إلى السلطان السلجوقى فى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م، وتوفى بكرمان سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م[٢].

- ومن أصحاب الحديث الرحالة أيضا الحافظ الإمام، محدث مرو، وخطيبها، أبو طاهر محمد ابن أبى بكر السنجى لمرزوى، سمع الكثير، ورحل وتفقه وسمع الحديث ببغداد والكوفة، والحجاز، وأصبهان، ثم عاد إلى مرو وأصبح محدثها وخطيبها، وكان يلى الخطابة فى الجامع الأقدم بمرو، توفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م[٣].

- عبد الملك بن عبد الله بن أبى سهل أبو الفتح الكروخى الهروى، سمع من جماعة بهراة، ورحل إلى بغداد، والتف حوله الطلاب والعلماء منهم ابن الجوزى، وكان يكتب النسخ بجامع الترمذى ويبيعها ويتقوت بها وخرج إلى مكة، فجاور بها إلى أن توفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٤٥م[٤].

- ومن فقهاء خراسان الذين رحلوا لنشر العلم والمعرفة أبو الحسن البلخى على بن الحسن الحنفى الواعظ الزاهد، نزل حلب، وقام بالتدريس فى مدرسة الصادرية بها، كما قام بالتدريس فى مسجد خاتون بحلب، وقام

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٤٦.
(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٤٩.
(٣) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٤، ص ١٣١٢.
(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٥٥.

بإبطال «حى على خير العمل» من حلب، وكان معظمًا مفخمًا من أمراء حلب، وتوفى سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٤م[١].

- ومن علماء الصوفية الشيخ الصالح، أبو الفضل حمد بن طاهر بن سعيد بن أبى الخير الميهنى الخراسانى الصوفى، سمع بقريته، ورحل إلى نيسابور، وسمع بها، ثم رحل إلى بغداد، واستوطنها وقام بنشر العلم فيها، وروى الكثير، وروى عنه السمعانى وغيره توفى ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م[٢].

- ومن اللغويين والأدباء الخراسانيين الذين رحلوا عن خراسان أبو الحسن الإسفراينى على ابن نصر بن محمد بن عبد الصمد، وكان له معرفة تامة باللغة والأدب، وخط وبلاغة، وكان له شعر مليح، ويد باسطة فى الكتابة والرسائل، أقام ببغداد مدة، ثم رحل عنها، وتوفى سنة ٥٥٠هـ/ ١١٥٦م[٣].

- أبو القاسم إسماعيل بن على بن الحسن النيسابورى، رحل لسماع الحديث، واستوطن أصبهان، ولقب بالأصبهانى الصوفى، وحدث بها، وصار مسند أصبهان ت ٥٥١هـ/ ١١٥٧م[٤].

- الشيخ الصادق الجليل عبد الصبور بن عبد السلام الهروى، رحل لسماع الحديث، وقام بالحج سنة ٥٣٩هـ/ ١٠٤٥م وحدث بهمذان وببغداد، وروى عنه السمعانى وابنه عبد الرحيم، ورجع إلى هراة وتوفى بها سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٨م[٥].

- المحدث عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إبراهيم أبو إسحاق أبو عبد الله الهروى ولد سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م، وسمع الحديث من أبا

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٤٨.
(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٣.
(٣) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ٢٠٢.
(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٥٨.
(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٠.

إسماعيل الأنصارى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وغيره ورحل فسمع صحيح البخارى ورحل إلى العراق وخوزستان[١]، وروى الحديث بغداد، وتوفى سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٩م[٢].

- الشيخ الفقيه محمد بن أبى بكر بن عثمان، أبو طاهر السنجى المرزوى، رحل إلى بخارى ببلاد ما وراء النهر، وتوفى لها سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٢م[٣].

- أبو الظفر سعيد بن سهل الوزير النيسابور، روى المجالس، ووزر لحاكم خوارزم، فسمى بالخوارزمى، وحج وتزهد ورحل إلى دمشق وأقام بالمدرسة السمسياطية وكان صالحا متواضعا، توفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م[٤].

- أبو سعد السمعانى عبد الكريم بن محمد بن منصور المرزوى رحل فى طلب الحديث، فدخل بغداد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م[٥]. ورحل إلى ما وراء النهر وسمع من الحديث ما لم يسمعه غيره[٦]. فأصبح حافظ خراسان[٧]، وقيل أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ، وهذا شيء لم يبلغه أحد، وروى عنه ولده عبد الرحيم مفتى مرو، كما روى خلق كثير، وتوفى بمرو سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦١م[٨].

---

(١) خوزستان: بضم أوله وبعد الواو الساكنة زاى وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون، وهو اسم لجميع بلاد الخوز، والخوز هم أهل خوزستان ونواحى الأهوازيين، فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصفهان: ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٢٥٩.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٨٢، ١٨٣، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٥٧.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٨٨.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٨٨.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ٢٢٤، ٢٢٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٢٧٤.

(٦) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج٣، ص ٤٤.

(٧) الذهبى: دول الإسلام، ج٢، ص ٦٦.

(٨) الذهبى: تذكرة الحافظ، ج٤، ص ١٣١٧ - ١٣١٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ٢٠٥ - ٢٠٦.

هكذا كانت الرحلات العلمية من إقليم خراسان إلى البلدان الإسلامية إما لتلقى العلم أو لإلقاء العلم، مما أدى إلى ازدهار الحركة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

الرحلات العلمية إلى خراسان:

- أبو بكر الفاضل الأصبهانى أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحارث التميمى المقرئ النحوى، رحل إلى نيسابور وسكنها النحوى، رحل إلى نيسابور وسكنها، ومتصدر للحديث وإقراء العربية ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٧م[١].
- أبو الحسن الأسترأباذى[٢]. على بن أحمد بن محمد بن الحسن الحاكم الشافعى، وكان من كبار أئمة الحديث، رحل إلى مرو، وكان يقرأ القرآن ظاهرا، وكان مجتهدا بمرو، كما كان يكتب طوال اليوم، وكان له الدرس والفتوى، وحدث بمرو سنة ٣٢هـ/ ١٠٣٩م[٣].
- الإمام الحافظ، المحدث، أبو مسعود أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان الرازى، رحل إلى نيسابور، فنسب إليها بالنيسابورى، وكان يسافر للتجارة كثيرا، كما كان عارفا بالأصول والحديث، وحدث عنه بخراسان إسماعيل بن عبد الغافر ت٥٢٩هـ/ ١١٣٥م وتوفى ببخارى سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م[٤].
- أبو الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله بن طاهر، رحل إلى نيسابور لسماع الحديث ودرس الفقه بها، ورحل إلى بغداد، وتوفى بها ودفن بمقبرة باب حرب سنة ٤٥هـ/ ١٠٥٨م[٥].

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٢) أسترأباذ: بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناه من فوق وراء ألف وباء موحده وألف وذال معجمه، بلده كبيرة مشهورة، أخرجت خلقا من أهل العلم فى كل فن وهى من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج٥، ص ٢٣٩: ٢٤٠.

(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج٢، ص ٣٥٣.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ١٩٨، السبكى: طبقات الشافعية، ج٥، ص ١٢.

- أبو عثمان النجيرمى[1]، سعد بن محمد بن أحمد بن محمد النيسابورى، رحل فى طلب الحديث إلى مرو وافراين وغيرها، وبرع فى الحديث، حتى صار محدث خراسان ومسندها ت ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م[2].

- أبى منصور سعد بن محمد، أبو المحاسن الجرجانى ندرس الفقه وتخرج على يده جماعة، وروى الحديث، ورحل لنشر العلم فى جميع البلدان، وعقد له مجلس المناظرة فى نيسابور وهراة وغزنة، وقتل ظلما باستراباذ سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[3].

- ومن علماء المغرب الذين رحلوا إلى خراسان أبو بكر بن منصور بن خلف المغربى الأصل، رحل إلى نيسابور، فنسب إليها ولقب بالنيسابورى وروى الحديث بها ت ٤٥٩هـ ١٠٦٧م[4].

- ومن الرحالة فى طلب الحديث عبد الرحيم التميمى بن احمد البخارى، أبو زكريا وكانت له الرحلة الواسعة، طاف بلاد خراسان ودمشق وبغداد، وكان من الحفاظ الثقاف والرحالين الثبات توفى ٤٦١هـ/ ١٠٦٩[5].

- أبو بكر الخطيب البغدادى، احمد بن على بن ثابت بن أحمد بن مهدى، احد مشاهير الحفاظ، وصاحب تاريخ بغداد، نشا ببغداد وسمع الحديث وتفقه بها، ورحل إلى البصرة، ونيسابور، واصبهان وهمذان والشام والحجاز ورجع فى نهاية الرحلة إلى موطنه وتوفى ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م[6].

---

(١) نجيرم: بفتح أوله وثانيه وراء مفتوحة وميم، وقيل بكسر الجيم، محله بالبصرة، وقد نسلب إليها قوم من أهل الدب والحديث. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٧٩.

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٨٨.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص٢٢٨.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٣٥٨.

(٥) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص ٣٠٨.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١١٠.

- ومن الأدباء والشعراء الذين رحلوا إلى خراسان الإمام أبو الحسن نصر بن الحسن المرغينانى[1]، رحل إلى خراسان، فأقام بزوزن خراسان، وكان مجلسه عامرا بالطلاب، وكان له علم جيد بالنظم والنثر حضر مجلسه الباخرزى ت ٤٦٧هـ/ ١٠٥٧ ولم يذكر تاريخ وفاته[2].
- ومن المقرئين والنحويين الذين رحلوا إلى خراسان، يوسف بلن على بن جبارة ابن محمد بن عقيل أبو القاسم الهزى المغربى، الضرير المقرئ النحوى، رحل إلى البلاد فى طلب علم القراءات، ورد نيسابور فحضر دروس أبى القاسم القشيرى ت ٤٥٦هـ/ ١٠٧٣م، وغيره، وأقره نظام الملك الطوسى الوزير السلجوقى فى مدرسة نيسابور مقرئا بها سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٤م، فاستمر بها إلى أن توفى سنة ٤٥٦هـ ١٠٧٣م[3].
- شيخ الشافعية، أبو الربيع طاهر بن عبد الله التركى الإيلاقى[4]، وكان قد رحل إلى خراسان فى صباه وتفقه بمرو، وأصبح له وجه فى المذهب وتوفى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٣م[5].
- ومن علماء أصفهان، الذين رحلوا إلى خراسان: عبد الرحمن بن منده، الحافظ العالم المحدث، رحل إلى خراسان وسمع أبا سعيد الصيرفى بنسابور، وأجاز لزاهر ابن أحمد السرخسى، وانتفع أهل خراسان بعلمه، ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م[6].

---

(١) مرغينان: بالفتح ثم السكون وغين معجمه وراء مكسورة وياء ساكنة ونون وأخره نون أخرى، بلد بما وراء النهر من اشهر البلاد من نواحى فرغانه، خرج منها جماعة من الفضلاء. ياقوت: معجم البلدان، ج٨، ص ٢٥٠.

(٢) الباخزرى: دميه القصر، ج٢، ص ٧٤.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص ٦٤٩، ٦٥٠.

(٤) الإيلاقى: بكسر الألف وسكون الياء المنقوله بنقطتين من تحتها، وفى آخرها الكاف، هذه النسبة إلى إيلاق وهى بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك، خرج منها جماعة من الأئمة. السمعانى: الأنساب، ج١، ص ٢٤٨.

(٥) الذهبى: تهذيب سير أعلامة النبلاء، ج ٢، ص ٣٨٦.

(٦) الذهبى: تذكرة الحفاظ، ج٣، ص ١١٦٥، ١١٦٦.

- ومن علماء العراق، عالم العراق: أبو إسحاق الشيرازى إبراهيم بن على الشافعى[1]، رحل إليه الطلاب من القطار، وتخرج به أئمة كبار، وعندما ذهب إلى خراسان كان يقول "خرجت إلى خراسان[2]، فما دخلت بلدة ولا قرية، إلا وكان قاضيها أو مفتيها، أو خطيبها تلميذى، أو من أصحابى ت٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م[3].

- وممن تفقه بخراسان، وصار قاضى القضاة فى العراق العلامة البارع، مفتى العراق، أبو عبد محمد بن على بن محمد بن حسين بن عبد الوهاب بن حسوية الدامغانى[4]، تفقه بخراسان، وقدم بغداد شابا وسمع من علمائها، ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥[5].

- أبو بكر الشاشى محمد بن على بن حامد شيخ الشافعية تفقه ببلاده، ورحل إلى غزنة وهى فى أول حدود، واستوطنها ودرس فيها، وصنف وحدث، وبعد صيته، فاستدعاه الوزير السلجوقى نظام الملك إلى هراة، فشق على أهل غزنة مفارقته، وولاه الوزير التدريس فى نظامية هراة، وتوفى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م[6].

- ومن الرحالة الجوالين فى طلب الحديث هبة الله بن عبد الوارث بن على بن احمد بن بورى الشيرازى، رحل وسمع بخراسان وغيرها، ورحل إلى العراق وقومس وخوزستان والجبال، ثم رجع إلى مرو، وبقى فيها إلى أن توفى ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م[7].

---

(١) الذهبى: دول الحفاظ، ج٣، ص ٥٠٦.

(٢) الشيرازى: أبى أسحاق ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، طبقات الفقهاء، حققه وقدم له د. على محمد عمر، ط١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مقدمة المترجم، ص ٥.

(٣) الدامغانى: بالدل المفتوحة المشددة المهملة، والميم المفتوحة والغين المنقوطة، نسبة إلى دامغان بلدة من بلاد قومس. السمعانى: الأنسباب ج٢، ص ٥٠٦.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤١٤.

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص ١٤٧.

(٦) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٢، ص ٣٧٥.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ٧٤، ٧٥.

- ومن المحدثين التجار الشيخ الثقة العابد التاجر أبو القاسم الفضل بن أبى حرب أحمد بن عيسى الحرجانى، رحل إلى خراسان، وكان صاحب سماع كثير، ومسانيد بنيسابور ولقب بالنيسابورى التاجر توفى سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[١].

- أبو تراب المراغى[٢]، عبد الباقى بن يوسف بن على صالح، سمع ببغداد من أبى الطيب الطبرى وتفقه عليه، وسمع بالموصل وبأصفهان، ورحل إلى نيسابور ونزلها وسمع بها، وتشاغل بالتدريس والمناظرة والفتوة، وكان يقول "احفظ أربعة آلاف مسألة فى الخلاف، واحفظ الكلام فيها ويمكننى أن أناظر فى جميعها " وتوفى سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م[٣].

- ومن الأمراء الذين رحلوا إلى خراسان، الأمير الشاعر أبى الهيجاء، شبل الدولة، مقبل بن عطيه البكرى الحجازى رحل إلى بغداد وغزنه وخراسان، واختص بنظام الملك، ثم نزل هراة، واستطونها إلى أن توفى سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م[٤].

- ومن علماء الحديث الذين رحلوا فى طلب العلم الحافظ عبد الله بن أحمد بن عمر بن أبى الأشعث ولد بدمشق وسمع بها من أبى بكر الخطيب البغدادى، بغداد، ورحل إلى أصبهان، ونيسابور وعنى بالحديث وألف معجما فى مجلد، وكان من الثقات النقاد، توفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م[٥].

- ومن علماء الحديث الذين، جالوا فى مدن خراسان، الحافظ الأوحد المفيد الرحال، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأصبهانى، وكانت

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢ـ ص ٤٤٠.

(٢) المراغى: نسبة إلى مراغة وهى بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلاد أذربيجان. ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٨، ص ٢٣٨.

(٣) ابن الجوزى: المنتظم، ج٩، ص ١١٠، ١١١.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٥) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ٤٩.

أولى رحلاته على خـراسان فى سنة ٤٦٦هـ/ ١١٧٣م، فسمع بنيـسابور وطوس، وسرخـس ومرو وهراة وبلخ، كـما رحل إلى ما وراء الـنهر، فأصبح بذلك الحافظ الأوحد، ومن كبار المحدثين، وتوفى سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م[١].

- ومن الرحالة فى طلب الحـديث أيضا: سهل بن مـحمود بن محـمد بن إسماعيل البرانى البخارى، رحل وسـمع الحديث الكثير وحدث وتفقه، ورحل إلى خراسـان، وكان بها إمـاما فاضـلا مناظرا، واعظا متشـاغلا بالتعبد وتوفى ببخارى سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م[٢].
- ومن الصوفيـة الذين رحلوا إلى خراسان وأقاموا بها، الشـيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهـمذانى، أوحد الأئمـة، وانتهت إليه تـربية المريدين بخراسـان، واجتمع عنـده بالخانقاه المنسـوبة إليه من العلمـاء والصلحاء جـمـاعة كـثـيـرة، وانتـفـعوا به وبـعلمـه، وتوفى بمرو سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤١م[٣].
- ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى خراسان عبد الجبار بن محمد بن احمد أبو محمـد الخوارزمى نسبة إلى خوار بلد بالرى - الشـافعى المفتى، ورحل إلى نيسابور وتفـقه فى صباه على فى صباه على إمـام الحرمين وأبو بكر البيهـقى وأبو القاسم القشيـرى فأصبح إمام جامع نيـسابور، وتوفى سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤٢[٤].
- أحمد بن محمد البخارى، سمع من أبيه الحديث وتفقه عليه وسمع عليه وسمـع من غيـره، ورحل إلى خراسـان، لفتى وناظر وأملى الحـديث، وتوفى بسـرخـس، وحـمل إلى مـرو، ثم إلى بخـارا ودفـن بهـا سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٢م[٥].

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٥١١.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٩.

(٣) عبد الوهاب الشعرانى: الطبـقات الكبرى، جزءان فى مجلد، المكتبة التوفـيقية، القاهرة، بدون، ج١، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١١٣.

(٥) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٢٦، ١٢٧.

- أبو تمام أحمد بن أبى العز محمد بن المختار بن المؤيد بالله الهاشمى العباسى البغدادى، الرحال، نزيل خراسان، وتوفى بنيسابور سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٩م[١].

- ومن بلاد الأندلس الرحالة عبد الله بن عيسى بن عبد الله بن أحمد بن أبى حبيب، أبو محمد الأندلسى، صرف عمره فى طلب العلم، وولى القضاء بالأندلس ثم دخل مصر والإسكندرية وجاور بمكة ثم قدم بغداد، فأقام بها مدة ثم رحل إلى خراسان، وأقام بها ينشر العلم، وتنقل بين مدنها بنيسابور وبلخ وهراة، وكان غزير العلم فى الحديث والفقه والأدب، وتوفى بهراة سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٠م[٢].

- الإمام المفيد حمزة بن محمد بن بحسول أبو الفتح الهمذانى، جال فى بلاد الإسلام فى طلب الحديث، ونزل هراة، وأفاد علماؤها وطلابها بقرائته، ثم رحل إلى بلخ، وعقد مجلس الإملاء بها، إلى أن توفى هناك سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م[٣].

- على بن معصوم بن أبى ذر المغربى الشافعى، كان إمام فاضل، عالم بالمذهب، بحر فى الحساب استوطن العراق وتفقه بها، ثم انتقل إلى خراسان، وانتفع الطلاب والعلماء بعلمة، وتوفى باسفرايين سنة ٥٥٠هـ، ١١٥٥م، وقيل سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٣م[٤].

- ورحل إلى خرسان أيضا: محمد بن أبى جعفر بن على الهمذانى، وسمع بها وبالعراق وبلاد الجبل وتوفى ٥٥٥هـ، ١١٥٧م[٥].

- ومن الرحالة النحويين الحسن بن صافى بن عبد الله أبو نزار الملك بملك

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٣٥.
(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٠، ص ١٤٥.
(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٤.
(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٥٨، ١٥٩.
(٥) ابن العماد الحنبلى: نفسه، ص ١٥٧.

النحاة، رحل وتفقه ودرس النحو وبرع فيه، رحل إلى خراسان، وكان أئمة النحاه، متفننا فى العلوم، وتوفى سنة ٥٦٨هـ/ ١٦٦٠م[١].

- وكان للنساء العالمات نصيب فى ازدهار الحركة الفكرية عن طريق الرحلات العلمية فقامت النساء بالرحلة إما فى طلب العلم أو إفادة الطلاب، وممن رحلن من خراسان إلى بغداد الواعظة خديجة بنت محمد ابن على بن عبد الله المعروفة بالشاهجية المروزية ت ٤٦٣هـ/ ١١٦٨م، كانت تعظ ببغداد[٢]، وممن حدث عنها أبو البدر الكرخى إبراهيم بن محمد بن منصور ت ٥٣٩هـ/ ١١٤٥م[٣].
- كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المزوية، سمعت الحديث وقرأ عليها الأئمة كالخطيب البغدادى وابن السمعانى، توفيت بمكة ٤٦هـ/ ١٠٧١م[٤].
- ومن النساء الذين رحلوا إلى خراسان فاطمة بنت على بن المظفر بن دعبل أم الخير البغدادية، رحلت إلى خراسان، ونزلت نيسابور ولقبت بالنيسابورية، حدث وروت صحيح مسلم وغريب الخطابى، وكانت تلقن النساء، وتوفيت ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م[٥].

هكذا كانت الرحلات العملية وإسهاماتها فى ازدهار وتطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص ٦٣.
(٢) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢٥.
(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٢١.
(٤) ابن الجوزى: المنتظم، ج٨، ص ٢٧٠، ابن كثير: البداية النهاية، ج١٢، ص ١١٣.
(٥) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٤، ص ١٠٠.